الفصل الثانى

الإسلام فى الفكر الإستشراقى

● **تمهيد :**

يعد كتاب « موجز فى أدب علوم الاسلام »
(Handbuch der Islamliteratur)

اهم مؤلفات الأستاذ الدكتور « جوستاف بفانموللر »
(Gustav Pfannmueller)

وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٢٣ فى برلين وأعيد نشره عام ١٩٧٤ ، ويقع الكتاب فى ٤٣٦ صفحة ٠

ويذكر « بفانموللر » فى مقدمة كتابه أنه يريد أن يقدم لكل من يود الاشتغال بحضارة الاسلام مدخلا أوليا للدراسة ، وعلى ذلك فانه لا يتوجه بهذا المدخل الى المتخصصين فحسب ، وانما يتوجه به فى المقام الأول الى دائرة واسعة من القراء ، الذين يريدون التعرف عن قرب على الحياة العقلية للشرق الاسلامى ٠

ويقدم الكتاب مختارات منتقاة ، من بين المراجع التى أثبتت أهميتها العظيمة ، عبر المسار التاريخى لعلم الاسلاميات ، ولا يكتفى المؤلف بمجرد حصر جاف لعناوين المراجع ، وانما يقوم بتصنيفها تصنيفا موضوعيا ، وتقديم عرض مختصر لمضمون كل مرجع ٠ وينصب الاهتمام الرئيسى للكتاب ـ بطبيعة الحال ـ على الدين الاسلامى ٠ ويخصص له المؤلف اثنى عشر فصلا (من ص ٦٠ الى ٣٤٧) يعرض فيها أولا للمؤلفات التى عنيت بتقديم عرض شامل للاسلام ، ثم لتلك التى عنيت بأحوال العرب قبل الاسلام ، وحياة محمد وتعاليمه ، والقرآن والحديث ، والفقه ، والعقائد ، والتصوف ، والطرق الصوفية ، وتقديس الأولياء ، والسحر ، والفرق الاسلامية ، والاسلام والتبشير ٠

ويخصص المؤلف فصلا للفلسفة الاسلامية ، التى يقول عنها : انه كان لها تأثير حاسم على فلسفة العصور الوسطى فى أوروبا ، كما يفرد فصلا للفن الاسلامى الذى يقول عنه : ان قيمته الجمالية الرفيعة ، وأهميته العظيمة بالنسبة للتطور العام للفن لم تعرف الا منذ زمن قريب .

وبالاضافة الى كل هذه الموضوعات .. هناك فصول أخرى فى الكتاب ، خصصت لببليوجرافيا الاسلام بصفة عامة ، وبلاد الاسلام وشعوبه ، وتاريخ الاسلام السياسى ، وحضارة الاسلام ، وفى النهاية فصل عن آداب العرب والفرس والأتراك .

والمؤلف لا يزعم أنه قدم حصرا شاملا لكل المؤلفات ، التى اهتمت بالجوانب المختلفة للاسلام والحضارة الاسلامية ، وفى هذا الصدد يقول :

انه ليس هناك من يشعر بالقصور والنقص فى هذه المحاولة الأولى أكثر مما يشعر المؤلف ، ولكنه يردد فى هذا المقام المثل العربى القديم : « ما لا يدرك كله لا يترك كله » فبعض المعرفة خير من الجهل التام .

ونحن نترجم هنا أحد فصول هذا الكتاب ، وهو الفصل الخاص بالمؤلفات التى اهتمت بتقديم عروض شاملة لدين الاسلامى ، ونقوم فى الوقت نفسه بالتعريف بالمستشرقين ، الذين ورد ذكرهم فى هذا الفصل(١) ، وكذلك بالتعليق على بعض المسائل التى وردت فيه ونرى أنها فى حاجة الى تعليق .

وقد قمنا أيضا بتقسيم الموضوع الى فقرات مستقلة ، ووضعنا لها عناوين خاصة تحمل فى أغلبها اسم المستشرق الذى تتناوله كل فقرة على حدة .

والمعلومات التى يتضمنها هذا الفصل معلومات على جانب كبير من الأهمية ، لأنها تصور لنا موقف أئمة المستشرقين ـ من مختلف الجنسيات وبشتى اللغات ـ من الاسلام ، طوال ما يقرب من قرنين وربع من الزمان ، أى من بداية القرن الثامن عشر الى نهاية الربع الأول من

---

(١) من بين الكتب التى رجعنا اليها فى هذا الصدد كتاب « المستشرقون » لنجيب العقيقى ، ودائرة المعارف الاسلامية وغيرهما من مراجع متفرقة .

القرن العشرين(٢) . ولكن عرض الخطوط الرئيسية للفكر الاستشراقى هنا لا يغنى بطبيعة الحال عن دراسة هذا الحشد الزاخر من مؤلفات المستشرقين دراسة واعية، ومن ناحية أخرى نجد أن الكتاب قد وقف بنا عند عام ١٩٢٣ ، وليس هناك أحد ـ فيما نعلم ـ قام بمحاولة أخرى لاستكمال العمل الذى بدأه « بفانموللر » .

وسنقوم ـ ان شاء الله ـ فى مناسبات أخرى بترجمة بعض الفصول الهامة ، المتعلقة بالنبى ﷺ وسيرته وتعاليمه ، وبالقرآن والحديث .

وفيما يلى ترجمة الفصل الخاص بالاسلام بصفة عامة ..

* * *

ترجمة وتعريف

١ ـ ريلاند (Hadrian Reland) :

لقد كان أول من قام بعرض علمى للدين المحمدى(٣) هو الأستاذ « هادريان ريلاند »(١٦٧٦ ـ ١٧١٨) أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة أوترشت بهولندا .

---

(٢) يعترف المستشرقون بأن كتابات الأوروبيين عن الاسلام فى العصور الوسطى كانت بصفة عامة كتابات غير علمية ، ومبنية على التعصب والجهل بالاسلام ومصادره الأصلية . انظر حول موقف الغرب من الاسلام فى العصور الوسطى كتاب (R. W Southern) « نظرة الغرب الى الاسلام فى القرون الوسطى » ترجمة د . على فهمى خشيم ، ود . صلاح الدين حسن ، ومراجعة الأستاذ عمر الدسوقى . دار مكتبة الفكر . طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٥ .

(٣) أغلب المستشرقين مولعون باستمرار بوصف الاسلام بأنه الدين المحمدى ؛ أو المذهب المحمدى (Mohammedanism) نسبة الى «محمد» كما تنسب المسيحية الى المسيح ، ولكن هناك سببا آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم ، وهو اعطاء الانطباع بأن الاسلام دين بشرى ، من صنع محمد وليس من عند الله . أما نسبة المسيحية الى المسيح فلا تعطى لديهم هذا الانطباع لاعتقادهم بأن المسيح ابن الله .

ويقع كتابه عن الاسلام فى جزئين(٤) : ويشتمل الجزء الأول على خلاصة لعلم العقيدة الاسلامية ، استنادا الى مصادر بالعربية واللاتينية ، أما الجزء الثانى فانه يصحح الآراء ، التى كانت سائدة حينذاك عن تعاليم العقيدة الاسلامية ، تلك الآراء التى كانت الى حد ما فى منتهى الغرابة .

وقد أثار الكتاب اهتماما عظيما لدرجة أنه أدى الى اثارة الشبهات حول مؤلفه ، باتهامه بأنه يريد أن يقوم بعمل دعائى للاسلام ، فى حين أنه لم يكن يقصد الا الى الوصول الى تفهم سليم للدين المحمدى ، وتمهيد السبيل لمحاربة هذا الدين من جانب المسيحية ، بطريقة أفضل من ذى قبل .

وقد أدرجت الكنيسة الرومانية الكتاب فى قائمة الكتب الممنوعة (Index Librorum prohibitorum) . ولكن الكتاب ترجم الى اللغات الألمانية والانجليزية والفرنسية والهولندية والأسبانية ، وأصبح يعول عليه كثيرا جدا فى عرض تعاليم عقيدة « محمد » .

وتثير مقدمة هذا الكتاب اهتماما خاصا ، فهنا يتحدث « ريلاند » عما تتعرض له كل الأديان باستمرار من جانب خصومها ، اما بعدم فهمها ، أو برميها بكل سوء ، بطريقة تنبىء عن قصد خبيث . وهكذا افترى الوثنيون على اليهودية والمسيحية ، وهكذا أيضا نظر الرومان الكاثوليك الى أتباع « مارتن لوثر » والى دعاة الاصلاح حينذاك نظرتهم الى المحمديين .

أجل ، لقد كان على المؤلف أن يخشى أيضا أن يعطى عمله هذا عن الطبيعة الحقيقية للدين المحمدى دافعا لخصومه للاستمرار فى نشر هذه الافتراءات ، وقد كان على حق فى تخوفه ـ كما رأينا ـ .

---

(٤) ظهر الكتاب باللاتينية عام ١٧٠٥ تحت عنوان (De religione Mohammedica libri duo) وقد أعيد طبعه عام ١٧١٧ ، وله بالاضافة الى ذلك مؤلفات أخرى منها : كتاب فى الجهاد ، والجغرافيا والآثار فى فلسطين ، وتعليم المتعلم للزرنوجى ، وفى مقدمته فهرس لجميع النصوص العربية ، المطبوعة فى أوروبا حتى أيامه .

ولكن « ريلاند » مع ذلك لا يريد أن يثنيه هذا الخوف العارض عن عزمه . « فالمرء يجوز له حقا أن يبحث عن الحقيقة حيثما كانت » ومن أجل ذلك يريد أن يعرض فى كتابه دين « محمد » لا كما يظهر من خلال ضباب الجهل ، وخبث الناس ، وانما « كما يدرس حقيقة فى مساجد المحمديين ومدارسهم » .

انه اذا كان هناك فى أى وقت من الأوقات دين فى هذا العالم قد احتقر من جانب خصومه ، ورمى بكل سوء ، فانه هو هذا الدين المحمدى ، فان من يريد أن يصف نظرية من النظريات بوصف مشين نجده يصفها بأنها نظرية محمدية ، كما لو أنه لا يوجد فى تعاليم « محمد » شىء صحيح ، وان كل ما فيها فاسد .

واذا كان لدى أحد قصد حميد فى التعرف على الدين المحمدى ، فلا تقدم له الا الكتب المضادة الخبيثة والمليئة بالأضاليل .

انه بدلا من ذلك ينبغى على المرء أن يتعلم اللغة العربية وأن يسمع « محمدا » نفسه وهو يتحدث فى لغته ، كما ينبغى على المرء أيضا أن يقتنى الكتب العربية وأن يرى بعينيه هو ، وليس بعيون الآخرين .

وسيرى المرء حينئذ أن المحمديين ليسوا مجانين كما نظن ، فقد أعطى الله العقل لكل الناس ، وقد كان من رأيى دائما : أن ذلك الدين الذى انتشر انتشارا بعيدا ، فى آسيا ، وافريقيا ، وفى أوروبا أيضا ، ليس دينا ماجنا ، أو دينا سخيفا ، كما يتخيل كثير من المسيحيين » .

صحيح ، انه دين سىء جدا ، وضار بالمسيحية الى حد بعيد ، ولكن .. ألا يجوز لذلك أن يبحثه المرء ؟ ألا ينبغى للمرء أن يكتشف أعماق الشيطان وحيله ؟

ان الأحرى بالمرء هو أن يسعى للتعرف عليه حقيقة ، لكى يحاربه بطريقة أكثر أمانا ، وأشد قوة !

* * *

٢ ـ جورج سيل (G. Sale) :

وبجانب عمل « ريلاند » نجد فى المقدمة التمهيدية التى جعلها « جورج سيل »(٥) مقدمة لترجمته للقرآن ـ عرضا شاملا لنظام الدين

---

(٥) جورج سيل (١٦٩٧ ـ ١٧٣٦) مستشرق انجليزى ، اشتد

الاسلامى ، ونظام شريعته ، وقد استطاعت هذه المقدمة ان تثبت وجودها زمنا طويلا جدا ، كمصدر علمى موثوق به فى هذه الموضوعات .

وقد جعلت فى عام ١٨٤١ مقدمة للترجمة الفرنسية للقرآن التى قام بها (كاسيميرسكى Kasimirski)(٦) واعيد طبعها كذلك منذ ذلك الحين .

وتتناول هذه « المقدمة المؤقتة » بطريقة مفصلة الموضوعات التالية :

١ ـ تاريخ العرب ودينهم قبل عصر محمد .

٢ ـ وضع المسيحية ـ وبوجه خاص الكنيسة الشرقية ـ ووضع اليهودية فى العصر الذى ظهر فيه محمد .

٣ ـ القرآن .

٤ ـ تعاليم القرآن ووصاياه الصريحة التى تتعلق بالعقيدة والتكاليف الروحية لهذه العقيدة .

٥ ـ محرمات معينة فى القرآن .

٦ ـ تنظيم القرآن للأمور الاجتماعية .

٧ ـ الأشهر الحرم ، ويوم الجمعة .

٨ ـ الفرق الرئيسية للمحمديين ، والأنبياء الزائفون .

* * *

اهتمامه بالاسلام حتى وصف بأنه نصف مسلم . ترجم القرآن من العربية مباشرة الى الانجليزية ، ونشرت الترجمة فى لندن عام ١٧٣٤ ، وقد اشتملت على حواشى ، وشروح ، ومقدمة مسهبة عن الدين الاسلامى بصفة عامة ، وهى تلك المقدمة التى يشير اليها « بفانموللر » وقد تضمنت الكثير من الافك واللغو والتجريح .

وقد قام بترجمة هذه المقدمة الى العربية « ابن الهاشم » العربى (القاهرة ١٩١٣) ، ونقل « تيودور أرنولد » ترجمة « سيل » للقرآن الى الألمانية عام ١٧٤٦ ، وأشار « فولتير » الى ترجمة سيل فى القاموس الفلسفى ، مما يدل على النجاح الذى صادفته هذه الترجمة فى أوروبا فى عصرها .

(٦) هو ألبير كاسيميرسكى (١٨٠٨ ـ ١٨٨٧) تخرج فى جامعة برلين ، ورحل الى الشرق ، واستقر فى فرنسا . قام بترجمة القرآن للفرنسية ترجمة تفتقد شيئا من الأمانة العلمية ، والتمكن من البلاغة العربية ، ومن أعماله أيضا « المعجم العربى الفرنسى » فى جزئين كبيرين .

٣ ـ مرادجيا دوهسون (Mouradgea d'Ohsson) :

أما المؤلف الضخم الذى ألفه « مرادجيا دوهسون » فانه يقدم عرضا للاسلام مبنيا على دراسة مصدرية عميقة للتشريع المحمدى وللتشريع الدينى على وجه الخصوص ·

وقد ولد المؤلف فى اسطنبول فى عام ١٧٤٠ وتربى هناك ، وقد كانت لديه وهو فى الرابعة والعشرين من عمره معرفة بأهم اللغات الشرقية ، واطلع على كتابات المؤلفين المحليين (الشرقيين) ، وقد استطاع أن يحصل على الكثير مما ظل محرما على غيره من الأوروبيين ، وذلك بفضل الصلات والمعارف التى هيأتها له مكانته ومنصبه كسكرتير ، ومترجم وقائم بالأعمال لملك السويد فى بلاط اسطنبول ، وبفضل ثقة الوزير الأعظم نفسه فيه لسنوات طويلة ·

وقد درس تعاليم الاسلام وتشريعه العام فى المصادر الأصلية بمساعدة احد علماء العقيدة والشريعة الاسلامية · وقد جمع بلا كلل مادة ضخمة على مدى اثنين وعشرين عاما ، وضعها فى النهاية فى مؤلف ضخم من ثلاث مجلدات من القطع الكبير(٧) ·

وقد اتخذ أساسا لعمله كتاب الشريعة العام المشهور الذى وضعه ابراهيم الحلبى بعنوان « ملتقى الأبحر »(٨) ·

---

(٧) عنوان الكتاب هو :
(Tableau général. de L' Empire Othoman divisé en deux parties; dont l'une comprend la Législation : Mahométane, L'autre , L'Histoire de L'Empire Othoman) .

وقد ظهر المجلدان الأول والثانى فى باريس من ١٧٨٧ الى ١٧٩٠ أما المجلد الثالث فقد ظهر عام ١٨٢٠ بعد وفاة المؤلف ، وتولى ابنه اخراجه ·

(٨) توفى ابراهيم الحلبى عام ٩٥٦ هـ · وقد اهتم كثير من العلماء بشرح كتابه « ملتقى الأبحر » وقد استخرج منه المستشرق الفرنسى (سوفير Sauvaire) (١٨٤٩ ــ ١٨٩٦) أبواب البيع والشراء ، والكفالة وغيرها ، والحوالة وألحق بها كتاب « مجمع الأنهر » لمحمد بن سليمان شيخ زاده ونشرهما متنا ، وترجمة فرنسية ، مع شروح وتعليقات فى مرسيليا عام ١٨٨٢ ، وهناك شروح أخرى عديدة على « ملتقى الأبحر » نذكر منها ما يلى : =

ولكن « مرادجيا » قام بتقسيم محتواه الى فصول محددة ، واضاف اليها أفكاره وملاحظاته الخاصة (observations) . وفى هذه الملاحظات وضع ثمار دراساته وخبراته الطويلة ، ولا زالت تعد حتى الآن ينبوعا حقيقيا لمعرفة الدولة العثمانية فى ذلك العصر .

وقد كان المفروض أن يشتمل المؤلف على قسمين رئيسين وهما : التشريع وفيه الحديث أيضا عن الدين ، والقسم الثانى التاريخ . وقد ألقى « مرادجيا » فى مقدمة تمهيدية نظرة مسهبة على القسمين ، ولكن لم يظهر الا القسم الأول فقط .

ويشتمل المجلدان الأول والثانى على القانون الدينى (Code religieux) الذى ينقسم أيضا الى العقائد والعبادات والأخلاق .

ويشتمل القسم الخاص بالعقائد على مواد العقيدة الثمانية والخمسين، التى وضعها « عمر النسفى »(٩) فى بداية القرن الثانى عشر ، وقد أضاف اليها « مرادجيا » شروحا هامة جدا حول وجهة النظر المحمدية فى نشأة الكون ، وحول كبار رجال الدين والأنبياء وأولياء الاسلام ، وحول الفرق الاسلامية ، وعقيدة الجبر ، والامامة وغير ذلك من موضوعات .

وأما القسم الخاص بالعبادات فانه يتناول فيه فى خمسة أبواب الأنواع المختلفة للطهارة ، والحديث عن الصلاة ، والزكاة ، والصوم ،

(أ) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر . من تأليف شيخ زاده (١٠٧٨ هـ) مطبوع على هامش ملتقى الأبحر .

(ب) جرى الأنهر على ملتقى الأبحر . من تأليف نور الدين على الباقانى القادرى الأنصارى . فرغ من تأليفه عام ٩٩٥ هـ . مخطوط بمكتبة الأزهر رقم (٣٣٦) ٧٣٨٣ .

(ج) الدر المنتقى شرح ملتقى الأبحر (مطبوع على هامش مجمع الأنهر) من تأليف الحصكفى (١٠٨٨ هـ) .

(د) المعادل . شرح ملتقى الأبحر . من تأليف المرعشى . مخطوط بمكتبة الأزهر رقم (٦٥٩) ١٠٩٧٤ .

(٩) يقصد كتاب العقائد النسفية الشهير لأبى حفص عمر نجم الدين النسفى المتوفى ٥٣٧هـ (١١٤٢م) وقد عرف هذا الكتاب فى أوروبا منذ عام ١٨٤٣ بواسطة كوريتون (Cureton) الذى قام بنشره حينذاك تحت عنوان : (The pillar of the Creed (Nr. 2)) .

والحج الى مكة ، وقد أضاف المؤلف الى كل باب ملاحظاته التى تعد على درجة قصوى من الأهمية .

وفى القسم الخاص بالأخلاق يتناول موضوعات الغـذاء والكساء والعمل الانسانى والفضائل الأخلاقية .

ويختم المؤلف « القـانون الدينى » ـ وبالتالى يختم فى الوقت نفسه المجلدين الأول والثانى من الكتاب ـ بفصل عن نظام التدرج المحمدى يتحدث فيه عن العلماء والدراويش .

أما المجلد الثالث فقد ظهر بعد موت « مرادجيا » ، وقد قام ابنه باخراجه من واقع مخلفات والده . وينقسم هذا المجلد الى قسمين : يشتمل القسم الأول منهما على القوانين أو التشريعات السياسية والعسكرية والمدنية وتشريعات القضاء والعقوبات ، فى حين يصف القسم الثانى وضع الامبراطورية العثمانية .

وتشـكل النقوش الرائعة زينة خاصـة لهذا المؤلف الضخم ، تلك النقوش التى تعطى صـورة وافية عن عالم الحضـارة التركية حينذاك فى جميع جوانبها .

* * *

٤ ـ جارسين دى تاسى (Garcin de Tassy) :

ولدينا بحـوث متعددة تتعلق بمعرفة الدين المحمـدى للمستشرق الشهير « جارسين دى تاسى »(١٠) . ويشتمل كتابه الخاص بعرض العقيدة الاسـلامية (Exposition de la foi Musulmane) على ترجمة لكتاب « بركوى birgewi »(١١) (١٥٢٢ ـ ١٥٧٣) الذى يعد بمثابة كتاب مدرسى فى تعليم العقيدة الدينية فى الدولة العثمانية .

---

(١٠) هو جوزيف هيليودور جارسين دى تاسى (١٧٩٤ ـ ١٨٧٨) تلخرج فى العربية على يد المستشرق المعروف دى ساسى ، وتولى بعده تحرير المجلة الآسيوية ، فنشر فيها كثيرا من الدراسات القيمة ، بالاضافة الى العديد من الأعمال : تأليفا ، أو ترجمة ، أو تحقيقا فى موضوعات اسـلامية وعربية .

(١١) بركوى أوبيركيلو ـ هو محمد بن بير على ، من علماء الدين =

أما كتابه : تعاليم الدين الاسلامى وتكاليفه والذى ظهرت طبعته الثالثة(١٢) تحت عنوان (L'Islamisme D'spres de Coran, L'enseignementdoctrinal et la pratique) .

فانه يتناول - بعد مقدمة قصيرة ، وبعد ايراد الآيات القرآنية المتعلقة بمحمد وبعثته - يتناول « تعاليم الدين الاسلامى وتكاليفه » فى أربعة وعشرين فصلا باقتباسات من القرآن رتبت حسب الموضوعات ، ويتناول ترجمة لكتاب اسلامى عن الصلاة ظهر فى كلكتا .

* * *

٥ - راينهارت دوزى (Reinhart Dozy) :

أما كتاب « راينهارت دوزى »(١٣) عن تاريخ الاسلام (Essai surl'histoire de L'Islamisme) والذى ظظهرفى الأصل باللغة الهولندية فى (هارلم Haarlem) عام ١٨٦٣ تحت عنوان (Het islamisme)

= الأتراك فى القرن العاشر الهجرى (٩٢٨ - ٩٨١ هـ) ، تلقى علومه فى القسطنطينية والتحق هناك بالطريقة البيرامية التى هى فرع من الطريقة النقشبندية . اشتغل بالتدريس فى مدرسة « بركى Birge » ، وله مؤلفات وكتب تعليمية فى علوم العقيدة معظمها باللغة العربية ، وله مؤلفات أخرى فى علم القراءات والنحو العربى وبعض المسائل الفقهية .

وقد اشتهر على وجه الخصوص عن طريق كتابه المدرسى فى العقيدة باللغة التركية وهو رسالة بركوى ويطلق عليه أيضا اسم « وصيت نامه » وهو الكتاب الذى قام « جارسين دى تاسى » بترجمته الى الفرنسية عام ١٨٢٢ ، وقد طبع الكتاب مرارا وترجم ترجمات مختلفة ، وقد أورد بروكلمان قائمة بمؤلفات بركوى . انظر أيضا : على بن بالى : « العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم » ص ٤٣٠ وما بعدها على هامش كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان طبعة القاهرة ١٣١٠ هـ .

راجع : (Handwoerterbuch des Islam. (Leiden, 1976)

(١٢) ظهر الكتاب عام ١٨٢٦ وأعيد طبعه عام ١٨٤٠ ، وظهرت الطبعة الثالثة بالعنوان الجديد عام ١٧٨٤ .

(١٣) ولد دوزى فى ليدن بهولنده (١٨٢٠ - ١٨٨٣) من أسرة فرنسية عرف معظم أفرادها بحب الاستشراق . كان متضلعا فى اللغات السامية وعمل أستاذا للعربية فى جامعة ليدن من عام ١٨٥٠ الى ١٨٧٨ ، وكان يكتب باللاتينية والفرنسية والانجليزية والأسبانية والألمانية والهولندية .

فانه ـ وان لم يكن أيضا مبنيا على نظرات وتأملات شخصية ـ مبنى على دراسات عميقة ، وقراءات شاملة ، ومعرفة دقيقة بالموضوع .

وقد اهتم المؤلف بتتبع الاسلام عبر عصور تاريخه كلها حتى الآن ، وعبر حدوده الواسعة كلها ، لكى يبين مسار تطوره ، ويبين فى الوقت نفسه صوره المتميزة ، التى اتخذها فى البلاد المختلفة ، تحت تأثير ظروف خاصة ، وتحت تأثير شخصيات واتجاهات عقلية لها شأنها .

وعلى الرغم من هذا الشمول الظاهرى فان الكتاب يعانى فى أحد جوانبه من اتجاه واحدى ، فنحن نحصل منه على تاريخ « الكنيسة » الاسلامية فقط ـ اذا جاز هذا التعبير ـ ولكننا لا نعرف من الكتاب شيئا عن تاريخ الاسلام السياسى ، وعن تاريخ حضارته على وجه الخصوص الا أقل القليل .

وانه لمن المستحيل رسم صورة للاسلام حسب ظهوره فى التاريخ العالمى كله ، اذا لم يلق المرء فى الوقت نفسه نظرة على تاريخه الخارجى ،

= ويعد فى أوساط المستشرقين أول رائد فى الدراسات الاندلسية . وتعتبر مؤلفاته فى هذا المجال مرجعا هاما فى تاريخ الأندلس وثقافتها وحضارتهـا .. ومن بين المؤلفات المختلفة والدراسات العديدة التى قام بها نخص بالذكر ما يأتـى :

ـ ملاحظات على بعض المخطوطات العربية ـ فى ٢٦٠ صفحة ـ (ليدن ١٨٤٧ ـ ١٨٥١) .

ـ فهرس المخطوطات الشرقية فى جامعة ليدن ١٨٥١ .

ـ تاريخ المسلمين فى أسبانيا الى فتح المرابطين لها ـ فى أربعة أجزاء (ليدن ١٨٤٩ ـ ١٨٦١) ـ ويقع الكتاب فى ١٤٦٠ صفحة ـ وقد تنـاول فى الجزء الأول الحروب الأهلية . وفى الثانى النصارى والمرتدين ـ وفى الثالث الخلفاء . وفى الرابع ملوك الطوائف .

ـ نظرات فى تاريخ الاسلام وبحوث فى تاريخ أسبانيا وآدابها فى العصر الوسيط ـ فى جزءين ـ الطبعة الثالثة ١٨٨١ .

ـ فهرس المخطوطات الشرقيـة فى المجمع الهولندى بامسـتردام (ليدن ١٨٥١) .

ـ تاريخ الاسلام منذ فجره حتى عام ١٨٦٣ . وقد كتبه بالهولندية ونقله شوفين الى الفرنسية (ليدن ١٨٧٩) .

وعلى الخلافة وانقساماتها ، وتطور أهم الدول الرئيسية ، والأسر الحاكمة ، والعناية بصفة خاصة بوصف انجازات الاسلام ، أو أحواله فى المجال الحضارى ، والاجتماعى ، أى فى العلم والشعر والمؤسسات القانونية ومؤسسات الدولة وشئون المدارس والحياة المنزلية والمؤسسات الاجتماعية ، أو على الأقل محاولة تحديد خصائصها ، وقد مر « دوزى » على هذه المجالات الهامة كلها مرورا عابرا .

وفى فصل تمهيدى قام « دوزى » ببحث مسألة الدين الأصلى لبلاد العرب ، معتمدا بصفة أساسية على آراء (شبرنجر Sprenger) (١٤) .

أما عن دين محمد فانه يضيف قائلا : انه ليس شيئا آخر غير الحنيفية القديمة ، أو التوحيد الحنيفى ، الذى حقق له « محمد » عقيدة ثابتة وتنظيمات معينة ، وأشكالا للعبادة ، وحقق له على وجه الخصوص تبريرا الهيا ، وأما الشىء الوحيد فى ذلك فقد كان هو ادعاؤه بأنه رسول الله .

ولكن « دوزى » لم يدع مجالا للحديث عما ثبت أن « محمدا » أخذه من اليهودية والمسيحية والديانة الفارسية (Parsismus) (١٥) .

---

(١٤) شبرنجر (١٨١٣ — ١٨٩٣) مستشرق نمساوى الأصل ، تجنس بالجنسية البريطانية عام ١٨٢٨ . أرسلته شركة الهند الشرقية الى الهند ، وولته الحكومة رئاسة الكلية الاسلامية فى دلهى ثم مدرسة كلكتا . وعينته مترجما للفارسية . أصدر فى دلهى أول صحيفة أسبوعية بالهندستانية . وفى عام ١٨٥٧ عين أستاذا للغات الشرقية فى جامعة برن بسويسرا ثم اعتزل التعليم وانقطع للتأليف فى هايدلبرج . وله مؤلفات عديدة ، ونشر الكثير من المخطوطات العربية ، ومن بينها : الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، وتاريخ الغزنوية للعتبى ، والرسالة الشمسية لنجم الدين الكعبى ، واصطلاحات الصوفية لعبد الرازق السمرقندى ، والاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى . ومن مؤلفاته : أصول الطب العربى على عهد الخلفاء ، وسيرة محمد — فى ثلاثة أجزاء — بمعاونة نولدكه .

(١٥) هناك اصرار من جانب أغلب المستشرقين على أن الاسلام دين بشرى . ومن هذا المنطلق يحاولون جاهدين البحث عن جذور هذا الدين فى الديانات القديمة السماوية والطبيعية والوثنية — وقد أعماهم هذا الافتراض الباطل عن ادراك جوهر الاسلام وفهم رسالته ، فراحوا يتخبطون فى أحكامهم عليه وعلى نبيه . =

ثم يتحدث « دوزى » بعد ذلك فى فصلين : ونهما بعنوان « محمد قبل الهجرة » وثانيهما بعنوان « محمد بعد الهجرة » ـ يتحدث عن شخصية النبى ، وحياته ، وتعاليمه ، والظروف التى مرت به ، وتأثيره ، وكذلك يتحدث عن تطور دينه وانتشاره الى حين وفاته .

اما عن موقف محمد الباطنى بالنسبة لعمله ، فان المرء لا يستطيع ان يستخلص من كتاب « دوزى » حكما محددا بهذا الخصوص : فتارة يظهر « محمد » كشخص مريض ، وكذاب ، وغشاش عن عمد ، وتارة أخرى يظهر مقتنعا بأنه صاحب عقيدة جيدة ، ومقتنعا بمهمته الالهية مثل « بولس » أو أى شخص آخر .

وبعد ذلك يأتى فصل عن « القرآن والسنة والأساطير » .

ويقول « دوزى » عن « القرآن » انه كتاب ذو ذوق ردىء للغاية ، وليس فيه شىء جديد الا أقل القليل وفيه اطناب بالغ وممل الى حد بعيد(١٦) .

أما قراءة السنة فانها أمر أكثر جاذبية ، ولكنها اشتملت على المعجزات التى لم يعرفها « القرآن » .

ويتحدث الفصل التالى لذلك عن التعاليم والعبادات : أما التعاليم فقد عولجت بطريقة مختصرة للغاية ، فقد تم الحديث عن العقيدة فى

=

ويوم تزول الغشاوة عن الأعين ويتجهون الى بحث الاسلام وهم ينشدون الحقيقة المجردة ، غير مثقلين بأفكار مسبقة أو أحقاد صليبية قديمة كانت أم حديثة ـ عندئذ فقط سيكون من السهل عليهم التوصل الى رؤية حقيقة الاسلام الناصعة وهى أنه دين الله .

(١٦) ليس بغريب أن يصدر مثل هذا الهراء من دوزى وأمثاله ما دام يبنى أحكامه على افتراضات باطلة . ولا شك أن دوزى لم يفهم القرآن ، أو بمعنى أصح لم يرد أن يفهم القرآن ، ولم يدرك ما ينطوى عليه من أعجاز وفصاحة وبلاغة أجبرت المشركين على الاعتراف بها ، فراح مندوبهم الوليد ابن المغيرة يردد بعد سماعه للقرآن « والله ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وأنه يعلو وما يعلى ، وأنه ليحطم ما تحته » .

ولدوزى وأمثاله يقول القرآن : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفلها »؟ (محمد : ٢٤) .

صورة خطوط عريضة فى صفحتين فقط ، وأما التعاليم الخلقية فقد جاء الحديث عنها بصفة عرضية فقط(١٧) .

وفى الفصلين التاليين يعود « دوزى » لاستكمال الحديث عن التاريخ ، ابتداء من وفاة « محمد » ولكن التاريخ السياسى لم يجد العناية المناسبة .

وفى الفصول التالية لذلك يتناول الفرق الكثيرة ، والاتجاهات الكلامية ، والحركات الخاصة المماثلة داخل الاسلام السنى ، وذلك تحت العناوين التالية : « الفرق الأولى » و « الاسلام فى عهد الحكم العباسى الأول » و « الاسماعيلية » و « الصوفية » ، ويبدو أن المؤلف قد وضع الثقل الرئيسى للبحث فى هذا القسم .

أما الفصل الذى جاء بعنوان « الاسلام فى الغرب » فانه يتناول فيه أسبانيا وشمال افريقيا .

وبعد الحديث عن « الأتراك والمنغوليين والهند والصين » وبعد الحديث باسهاب عن « الوهابيين » وجهودهم الاصلاحية فى تطهير العقيدة ، يأتى فصل ختامى تفصيلى عن « وضع الاسلام فى العصر الحاضر » .

وفى هذا الفصل يلقى المؤلف نظرة عامة على البلاد المحمدية فى العصر الحاضر ويصفها بناء على العقيدة الدينية والحياة ودور العبادة والعادات ، كما يتمثل ذلك كله فى الحياة العملية . وقد خصص نصف هذا الفصل تقريبا لبلاد الفرس ويأتى فى المقابل لها الدولة التركية التى تعد المقر الرئيسى للاتجاه السنى .

---

(١٧) من الغريب ان يتحدث « دوزى » فى مجلدات مطولة عن الجوانب التاريخية للاسلام ، ثم يتحدث عن التعاليم الخلقية للاسلام بصفة عرضية ، وهو يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد لخص رسالته كلها فى تلك العبارة الجامعة حين قال : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . ولكن يبدو أن القصد هو اخفاء الصورة المشرقة لتعاليم الاسلام ، والتركيز فى عرض الاسلام على جوانب معينة ، تبدو لدوزى وأمثاله نقاط ضعف ، أو جوانب سلبية . وهكذا العين المريضة لا تستطيع أن ترى الشىء على حقيقته — فما بالك اذا كان القلب مريضا وعليه أقفال ثقيلة .. !

وفى النهاية يعرض المؤلف لمسألة المصير المستقبلى لهذا الدين ، وعما اذا كانت المسيحية ستتغلب عليه وتزاحمه ؟ ويرى أن انهيار الاسلام أمر غير متصور ، وأنه بالاحرى سيعيش طويلا ثابت الأركان ، مثل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية .

* * *

٦ ـ الفريد فون كريمر (Alfred von kremer) :

يرجع الفضل العظيم الى « الفريد فون كريمر » (١٨) فى أنه كان أول من نظر الى الاسلام من جانب تاريخ الحضارة ، وقد رسم فى كتابه « تاريخ الأفكار السائدة فى الاسلام » الخطوط الرئيسية لتاريخ الحضارة العام للاسلام .

وغاية الكتاب هى ابراز الأفكار السائدة فى الاسلام بوصفها « قوانين لا تتغير أبدا » لتطور الحضارة وفى الوقت نفسه باعتبارها دليلا لكتابة التاريخ فى المستقبل .

وقد بدت مثل هذه الأفكار للمؤلف متمثلة فى مفهوم : الله ، والنبوة وفكرة الدولة .

ولكن هذه الأفكار الثلاثة لا تمثل الا الاطارات فحسب ، التى أراد المؤلف أن يلخص فيها تأملاته وأبحاثه ، وهى اطارات ضيقة جدا ، بالنسبة لعرض التطور الحضارى الاسلامى الشامل ، كما أن التقسيم فى حد ذاته غير متين .

فالباب الأول والثانى كثيرا ما يتداخلان ، أما الباب الثالث فقد

---

(١٨) هو البارون فون كريمر (١٨٢٨ ـ ١٨٨٩) ولد فى فيينا وتخرج فى جامعتها ، أرسلته دولته قنصلا لها فى مصر ثم فى بيروت (١٨٧٠) ثم استدعته لوزارة الخارجية وغيرها من الوزارات فعرف بجده السياسى ونشاطه الاستشراقى . وقد نشر كثيرا من المخطوطات العربية منها : المغازى للواقدى ، والأحكام السلطانية للماوردى ، والاستبصار فى عجائب الأمصار . وله مقالات وبحوث عديدة فى شعراء الاسلام . ومن مؤلفاته : آثار اليمن ، وتاريخ الفرق فى الاسلام ، وتاريخ الحضارة فى المشرق تحت حكم الخلفاء ـ فى جزئين ـ (نقله الى العربية مصطفى بدر ١٩٥٧) ، وتاريخ الأفكار السائدة فى الاسلام .

كان ينبغى أن يتقدمهما . واذا كان هناك قصور فى الكتاب من حيث الشكل فان المهمة التى أخذها المؤلف على عاتقه من حيث المادة قد تم حلها بطريقة شاملة .

وقد كان دقيقا ـ على وجه الخصوص ـ فى تصوير المراتب الثلاثة للتطور فى شكل الدولة ، وكذلك ما يتمثل فى داخل هذه المراتب من فترات التطور الدينى ، ويتمثل التألق ـ بوجه خاص ـ فى تصوير خصائص التصوف .

والمؤلف مولع بتناول العصر المتأخر للاسلام ، فهو لا يتطرق الى الازدهار الكلاسيكى للاسلام فى القرن الأول الا فى أقل القليل ، ويركز على العصر اللاحق ، الذى يمتد حتى العصر الحديث ، وأكثر أقسام الباب الثالث أصالة هو القسم الذى يصور فيه الخطوط العريضة للسلطنة ، باعتبارها الصورة الحديثة للدولة ، أما الباب الأول والثانى فانهما لا يستطيعان أن يقدما الا القليل بجانب التصوير الرائع لدوزى وأبحاث شبرنجر .

ويعد كتاب « فون كريمر » (جولات تاريخية حضارية فى حقل الاسلام) تكملة لكتابه « تاريخ الأفكار السائدة فى الاسلام » . وقد بدا فيه ولوع المؤلف ببحث تلك الجوانب التى حدثت فيها التأثيرات الأجنبية على الاسلام ، وتلك التى يمكن فيها اثبات بقايا لأشكال الحضارة القديمة ، تحت الطبقة الكثيفة للأفكار المحمدية ، وتحت انقاض القرون ، وان كانت هذه البقايا غالبا ما تكون أيضا مشوهة الى حد الطمس(١٩) .

وبهذه الطريقة نشأت صورة على شاكلة الفسيفساء وان كانت فى الغالب أيضا صورة غير تامة ـ للتأثيرات الأجنبية على الاسلام . وقد

---

(١٩) سبق أن أشرنا الى الأسلوب الخاطىء للمستشرقين فى تناولهم للاسلام كدين من حيث البحث عن التأثيرات الأجنبية عليه بناء على فرضيات باطلة . وهنا نشير الى أنه اذا كان المقصود بيان أن هناك تأثيرات أجنبية على حضارة الاسلام فان الأمر يختلف ، اذ أن الاسلام لم يرفض أى عنصر من العناصر الايجابية التى وجدها فى الحضارات السابقة . ومن هذا المنطلق لم يرفض المسلمون ما وجدوه فى حضارة غيرهم نافعا لهم فى مسيرتهم الحضارية فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، والمبدأ القرآنى يقول : « **فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** » (الرعد : ١٧) .

اقتصر كريمر هنا على عصور الخلافة ، وحاول وصف بعض التحولات التى لها اهمية أكثر من غيرها ، والتى حدثت بتأثير من الأفكار الأجنبية ، وهى ليست مجرد تحولات دينية ، وانما هى أيضا تحولات اجتماعية وتاريخية حضـارية .

* * *

٧ ـ سنوك هورجرونجه (Snouck Hurgronje) :

فى عام ١٨٨٦ نشر بحث أساسى لـ « سنوك هورجرونجه »(٢٠) بعنوان (الاسـلام De Islam) فى المجلة الهولندية (De gids) وهو عبارة عن عرض كلاسيكى لتطور العقل الاسلامى . فبعد القاء نظـرة عامة قصيرة على تاريخ البحوث المتعلقة بحياة محمد من (هوتنجر Hottinger) (٢١) الى (نولدكه Noeldeke) (٢٢) يقـدم سنوك هورجرونجه فى البداية نبذة عن حياة محمد وتعاليمه .

---

(٢٠) سنوك هورجورونجه (١٨٥٧ ــ ١٩٣٦) مستشرق هولندى زار مكة عام ١٨٨٤ منتحلا اسما اسلاميا هو عبد الغفار ، وأقام هناك فى سوق الليل مدة خمسة أشهر ثم غادرها قبل موسم الحج ــ عين أستاذا للعربية فى جامعة ليدن (١٩٠٧ ــ ١٩٢٧) وكان يجيد اللغة العربيـــة اجادة تامة ــ يعد عميد العربية بعد جولدتسيهر وفى طليعة الرواد فى دراسات الفقه الاسلامى والأصول والتفسير والحديث فى أوروبا . ومن مؤلفاته : الحج الى مكة (بالهولندية) ، والمهدى (بالألمانية) ، ومكـة وجغرافيتها فى القرن التاسع عشر ــ فى جزئين بالألمانية ــ وقد وصفها وصفا دقيقا شاملا مع خرائط عديدة ــ وله بحوث كثيرة عن طابع الاسلام ، وانتشاره ، وابراهيم فى القرآن ، والاسلام والمشكلة العنصرية ، وسياسة النبى الدينية ، ومجموعة دراسات عن الاسلام وتاريخه وشريعته ، وبلاد العرب وتركيا والهند ، واللغة والأدب .

(٢١) هوتنجر (١٦٢٠ ــ ١٦٦٧) مستشرق سويسرى ، ولد فى زيوريخ ، عمل أستاذا للغات السامية فى كل من زيوريخ وهايدلبرج . ومن مؤلفاته : تاريخ الشعوب الشرقية ، وفهرس المصنفات الشرقية (هايدلبرج ١٦٥٨) ، ومعجم مختلف اللغات ، والآثار الشرقية ، ومجموعة مباحـث شرقية .

(٢٢) تيودور نولدكه (١٨٣٦ ــ ١٩٣٠) مستشرق ألمانى ، عمل أستاذا للغات السامية والتاريخ الاسلامى فى جامعـات جوتنجن وكيـل واشتراسبورج . =

وفى الفصل الثانى يتناول صراع « محمد » مع اليهودية والمسيحية فى المدينة ، وتصالحه مع الوثنية العربية (٢٣) أما الفصل الثالث فيخصصه للحديث عن كتاب الله وسنة رسوله وقضية الاجماع ، وفى الفصل الرابع يصور عقيدة الاسلام ، ويتحدث عن علم العقيدة ، ويتناول التصوف على وجه الخصوص ، أما الفصل الختامى فانه يعرض فيه لعلاقة الاسلام بأوروبا ، وواجب أوروبا تجاه الاسلام .

وقد قدم سنوك هورجرونجه فى كتابه (Groote Godsdiensten) عرضا شعبيا شاملا للدين الاسلامى ، اشتمل على الانتشار ، والبدايات ، وتقسيمات الفرق ، والتطور التشريعى ، ومضمون التشريع ، والتطور العقدى ، ومضمون الكتب الدينية ، والتصوف ، وتقديس الأولياء .

وتعد أيضا المحاضرات الاربع التى القاها « سنوك هورجرونجه » بناء على طلب من « اللجنة الأمريكية للمحاضرات المتعلقة بتاريخ الأديان » ذات قيمة كبيرة ، وفى هذه المحاضرات يتحدث عن مصدر الاسلام ، وعن تطوره الدينى ، وتطوره السياسى ، وعلاقة الاسلام بعالم الأفكار فى العصر الحديث .

* * *

٨ ـ اجناتس جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) :

ان أعظم الباحثين فى الاسلام فى العصر الحاضر ـ بجانب « سنوك هورجرونجه » هو « اجناتس جولدتسيهر »(٢٤) . وأول مؤلفاته

=

وكان متضلعا فى العربية واللغات السامية والفارسية والتركية والحبشية والآرامية ، بالاضافة الى اتقانه لليونانية والألمانية والانجليزية والفرنسية والأسبانية والايطالية . ومن مؤلفاته : تاريخ القرآن ، وفكرة عامة عن حياة محمد . وقد عاون شبرنجر فى كتابه سيرة محمد ، وأسهم فى نشر تاريخ البلدان للطبرى ، وترجم الى الألمانية الجزء الخاص بالساسانيين ، وله أيضا قواعد اللغة السريانية ، وتاريخ الشعوب السامية ، ودراسات فى قواعد اللغة العربية ، وعشرات البحوث والمقالات عن شعراء العرب واللغات الشرقية والدراسات الاسلامية ، وترجمات لبعض المؤلفات العربية .

(٢٣) يقصد صلح الحديبية .

(٢٤) اجناتس جولد تسيهر (١٨٥٠ — ١٩٢١) مستشرق من أصل

=

الكبيرةعن تاريخ الدين المحمدى ـ الذى كتبه للأسف باللغة المجرية ـ لا يقدم صورة كاملة للاسلام وتطوره ، ولكنه يقدم نظرة أكثر عمقا فى الظواهر الجزئية ، وعوامل تاريخ الدين المحمدى ، ويحتوى هذا الكتاب بصورة تقريبية على ما يأتى :

١ ـ دين الصحراء والاسلام .

وهنا يريد جولدتسيهر ـ على العكس من (دولنجر Doellinger) و (شـــبرنجر Sprenger) و (كريل Krehl) (٢٥) و (رينان Renan) (٢٦) ـ أن يثبت الدعويين التاليتين :

= مجرى . عمل أستاذا فى جامعة بودابست ، سافر الى سوريا وصحب هناك الشيخ طاهر الجزائرى ثم رحل الى فلسطين ومصر والتقى هناك بالشيـــخ محمد عبده وغيره من مشايخ الأزهر ـــ يعد من أعلام المستشرقين المشهود لهم بطول الباع ، كما يعد من كبار أئمة الدراسات الاسلامية فى أوروبا . كتب العديد من المقالات عن الاسلام فى المجلات الآسيوية والغربية بالألمانيـــة والانجليزية والفرنسية والروسية والمجرية والعربية . أما أشهر مؤلفاتـــه فقد كتبها بالألمانية والانجليزية والفرنسية . وكانت مكتبته تضم ما يربو على أربعين ألف مجلد .

ومن مؤلفاته : العقيدة والشريعة فى الاسلام (ترجمه الى العربية د . محمد يوسف موسى وآخرون) ، ودراسات اسلامية ـــ فى جزئين ـــ ومحاضرات فى الاسلام ، وتاريخ مذاهب التفسير الاســـلامى (مترجم الى العربية) .

وقد نشر بعض المخطوطات العربية منها : فضائح الباطنية للغزالى ، ونقل الى الألمـــانية بعض المؤلفات العربية . وله دراسات اسلامية عديدة عن القدرية ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والحلاج ، والبخارى ، والاجماع ، والبدعة ، وتكريم الأوليـــاء فى الاســـلام ، والحديث النبوى ، والتقية فى الاســـلام .

(٢٥) كريل (١٨٢٥ ـــ ١٩٠١) مستشرق ألمـــانى ، له كتاب عن حياة محمد ودعوته (١٨٨٥) ، وقد شارك فى نشر الجزءين الأولين من نفح الطيب للمقريزى (١٨٥٥ ـــ ١٨٦١) ، ونشر من الجامع الصحيح للبخارى ثلاثة أجزاء (ليدن ١٨٦٢ ـــ ١٨٦٨) .

(٢٦) أرنست رينان (١٨٢٣ ـــ ١٨٩٢) فيلسوف ومفكر فرنسى ، درس اللاهوت وتضلع فى اللغات الشرقية وأخذ بمذهب حرية الفكر ، ورحل الى الشرق ونزل لبنان وعنى بالعقائد الاسلامية . =

(أ) محمد لم يكن تعبيرا عن روح الشعب العربى وانما كان على النقيض من هـذه الروح .

(ب) وهذا ما جعل من سكان الصحراء من البدو الخصوم الطبيعيين لتعاليم النبى .

٢ ـ مأثورات الاسلام : عرض لحقيقة السنة النبوية ونشأتها وجمعها ، تلك السـنة التى لولاها لكان القـرآن لا يقدم الا صـورة غير مكتملة للاسـلام(٢٧) .

٣ ـ تقديس الأولياء وبقايا الأديان القديمة فى الاسـلام : مفهوم الولى وتطور التقديس الممنوح للأولياء والعقيدة الشعبية المتعلقة بذلك .

٤ ـ العمارة فى الاسـلام .

٥ ـ حياة الجامعات المحمدية : الجامع الأزهر فى القاهرة اشهر جامعات الاسـلام .

٦ ـ آراء خاطئة عن الاسـلام .

=

ومن مؤلفاته : ابن رشد والرشدية (مترجم الى العربية) ، وتاريخ اللغات السامية ، وتاريخ الأديان ، وحياة يسوع ، وتقدم الآداب الشرقية .

(٢٧) السنة ـ كما يقول الامام الشاطبى ـ « راجعة فى معناها الى الكتاب ، فهى تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره » ولا تجد فى السنة أمرا الا والقرآن قد دل على معناه دلالة اجمالية أو تفصيلية . والسنة ليست قاضية على الكتاب وانما هى مفسرة له وشارحة لمعانى أحكامه . (راجع الموافقات للشاطبى ج ٤ ص ١٠ ـ ١٢) .

والأمر الذى لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان فى هذا الصدد هو أن ما جاء فى السنة الصحيحة من بيان أو تفصيل أو شرح لمـا فى القرآن أو حتى ما جاء فيها من أحكام لم ترد فى القرآن لم يكن من عنديات الرسول وانما كل ذلك مرده الى الله . فالسنة شأنها شـأن الكتـاب فى أنها من عند الله وقد أشار اليها القرآن فى كثير من الآيات بلفظ الحكمة « **واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به** » (البقرة : ٢٣١) .. « **واذكـرن ما يتلـى فى بيـوتكن من آيـات الله والحكمـة** » (الأحزاب : ٣٤) ـ .. وجمهور المفسرين على أن المراد بالحكمة هو السنة . ويقول الامام الشافعى أيضا : « كل ما سن رسول الله مما ليس فيه كتاب ؛ وفيما كتبنا فى كتابنا هـذا ، من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة دليل على أن الحكمة سنة رسول الله » ـ الرسالة ص ٣٢ .

ويقدم لنا جولدتسيهر فى كتابه « دراسات محمدية » سلسلة من البحوث المتفرقة التى يربط بينها رباط وثيق عن تاريخ الاسلام فى القرون الأولى ، وموضوع هذه البحوث هو :

(أ) صراع المبادىء الاسلامية مع النظرة العربية الموروثة الى الحياة ، تلك النظرة التى تتعارض معها تعارضا صارخا الى حد ما ٠

(ب) النصر التدريجى لفكرة المساواة ـ التى تعد فكرة أساسية من أفكار الدين الجديد ـ وذلك عن طريق النهوض الذى حققه الناس وحققته شعوب كاملة تحت السيادة الأجنبية ، ويخص بالذكر من هذه الشعوب الفرس ٠

ويبحث « جولدتسيهر » كيف اضطرت عقلية العرب ، ونظرتهم الى الحياة ، ووضعهم السياسى لاتخاذ موقف ازاء العقيدة الجديدة ، وأى تأثيرات مارستها خصوصيات العقلية العربية على التطور الداخلى للاسلام فى عصر الخلفاء ، وقد اهتم « جولدتسيهر » اهتماما خاصا بتاريخ الحديث النبوى (ص ٢٣٣ وما بعدها) ويتناول مسألة تقديس الأولياء (ص ٣٠٣ وما بعدها) ٠

ويقدم لنا « جولدتسيهر » عرضا ممتازا للدين الاسلامى فى سلسلة « حضارة العصر الحاضر » ، فبعد مقدمة يصور فيها دين العرب قبل الاسلام ، ونظرتهم الى الحياة يعطى « جولدتسيهر » فى خطوط عريضة قوية تاريخ تطور الاسلام فى ستة فصول (على النحو التالى) :

١ ـ حياة محمد وتعاليمه ٠

٢ ـ نمو الاسلام ٠

٣ ـ تكوين علم العقيدة الاسلامى وتأثير العناصر الفارسية فى عصر العباسيين (٧٥٠ ـ ١٢٥٨) ٠

٤ ـ الانقسامات العقدية وتكوين الفرق الأولى ٠

٥ ـ المهدية ٠

٦ ـ الفرق الجديدة ٠

ويشهد الكتاب لمؤلفه بالاطلاع الواسع والتمكن من الموضوع ٠ وفى كل مكان يعتمد « جولدتسيهر » على المصادر ، وفى كل مكان يجعل حملة التقدم الفكرى أنفسهم يتحدثون فى اقتباسات قصيرة وسديدة ٠

وتكملة لهذا التناول الرائع يقدم جولدتسيهر أيضا على الصعيد الفلسفى بحثا بعنوان : « الفلسفة الاسلامية واليهودية فى العصر الوسيط » فى سلسلة « حضارة العصر الحاضر » .

واخيرا يقدم « جولدتسيهر » تلخيصا لعمله طوال حياته ، على صعيد تاريخ الدين الاسلامى فى كتابه « محاضرات عن الاسلام » وبناء هذه المحاضرات تاريخى وليس نسقيا .

فنحن نرى الأفكار تنشأ وتنمو وتؤثر وتفنى . وهنا يفترض أن الأحداث الخارجية معروفة .

وهكذا ، لا يقدم لنا فى الفصل الأول الذى عنوانه « محمد والاسلام » شيئا عن الظروف الخارجية لحياة النبى ، ولكنه بدلا من ذلك يقدم لنا الشىء الكثير عما هو أكثر أهمية ، أى عن محمد الانسان المتدين ! ، ويتناول فى الفصل الثانى « تطور التشريع » ، أما تاريخ الحديث النبوى ، الذى ندين فيه بالفضل للمؤلف ، فانه يقدمه لنا هنا فى خطوط عريضة مصحوبا ببعض الأسانيد الجديدة .

ويبرز فى وضوح شديد كيف تحول الدين فى عهد العباسيين الى « شأن مركزى من شئون الدولة » وبعد ذلك يقدم لنا وصفا لبدايات التشريع ، ثم يكتب بعد ذلك ـ بولوع خاص ـ الفصل الثالث عن « التطور العقدى » ، أما الفصل الرابع فقد خصصه للحديث عن « الزهد والتصوف » .

وهنا يعرض لمنشأ الزهد ويعرض للتاثيرات « الأفلاطونية الحديثة » « والبوذية » ، وقد خصص الفصلين الأخيرين للحديث عن « شئون الفرق » و « الصور المتأخرة » ، ويتحدث على وجه الخصوص باسهاب عن الشيعة ! كما يعرض أيضا عرضا عميقا لكل من « الوهابية » « والبابية » ، ويختم الكتاب بمحاولات وامكانيات حدوث تفاهم بين السنة والشيعة .

وهناك تكملة صغيرة لهذا الكتاب يقدمها فى بحثه عن « الاتجاه التوحيدى والتفرق فى الاسلام » .

وفى البداية يعرض « جولدتسيهر » فى هذا البحث للمجال الواسع الذى يوفره الاسلام للخلاف فى الرأى ، على صعيد العبادات والتشريع

والعقيدة ، ولكنه يبين بعد ذلك كيف تكون بالتدريج رد الفعل ضد هذه التمزقات ، فكلما ازداد الاعتراف بجواز الاختلافات من ناحية ، كلما ازداد من ناحية اخرى وجوب التأكيد على ذلك الذى يحظى بالاتفاق من جانب كل الجماعة الاسلامية » ، ومن هذا الاعتبار انبثقت نظرية « الاجماع » انبثاقا ذاتيا بوصفها معيارا للتصحيح الدينى .

وتشتمل موسوعة (Jewish Encyclopedia) أخيرا على مقال ممتاز عن « الاسلام » بقلم « جولدتسيهر » يدل على اطلاع واسع .

* * *

٩ ـ **ماكدونالد** (Duncan B. Macdonald) :

أما «دنكان ب . ماكدونالد»(٢٨) الأستاذ بمعهد اللاهوت بهارتفورد (connecticut) فقد وضع بحوثه وخبراته الغنية على صعيد تاريخ الدين الاسلامى فى ثلاث مؤلفات أساسية :

وأول هذه المؤلفات هو « تطور علم الكلام والفقه ، والنظرية الدستورية فى الاسلام »
(Development of Muslim Theology; Jurisprudence and Constitutional Theory)

وفيه يلقى نظرة شاملة على تطور علم الكلام ، وتطور المؤسسات التشريعية ، والنظرية السياسية فى الاسلام ، ويتناول القسم الأول : موضوع تطور مؤسسات الاسلام السياسية ، منذ النشأة حتى ظهور الحركة الحديثة للوهابيين ، واتجاه الوحدة الاسلامية .

---

(٢٨) ماكدونالد (١٨٦٣ — ١٩٤٣) مستشرق امريكى . أشرف على القسم الاسلامى بهارتفورد بأمريكا لسنوات طويلة وأنشأ مجلة عالم الاسلام بمعاونة صمويل زويمر ، كما أنشأ بمعاونة سارتون مجلة ايزيس .

وله دراسات عديدة عن الدين الاسلامى وعلم الكلام والتصوف والفلسفة والفقه ودراسات فى ألف ليلة وليلة والشعر العربى واللهجات العربية والعلوم الطبيعية فى الاسلام . وقد قام بترجمة كثير من النصوص العربية الى الانجليزية منها رسالة النفس لابن سينا ، وله كتاب فى (عرض المسيحية للمسلمين) . ويصدر ماكدونالد فى كتاباته عن روح تبشيرية واضحة .

وفى القسم الثانى : يتناول « ماكدونالد » مبادىء التشريع المحمدى وتطوره ، فى صلتها بتطور المؤسسات السياسية ، ويبين بصفة خاصة تأثير القانون الرومانى ، ويكشف عن وجوه الشبه(٢٩) .

وفى القسم الثالث : يتناول تاريخ الحركات الكلامية والفلسفية فى الاسلام ، وفضلا عن ذلك يعرض للفرق الكلامية وللمسائل التى طبعت كلا منها ، ويصور تكوين « المدرسة الاعتزالية » وتطورها بكل الفروق الدقيقة المعقدة ، حتى حدوث التصالح بين النزعة العقلية والنزعة السنية ، بفضل علم الكلام الأشعرى ، كما يتناول تأثير الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية ، والمعارضة التى لقيتها هذه الفلسفة من جانب « الغزالى » المتكلم الكبير ، ويصف الأصوات الصوفية للنزعة التصوفية المحمدية والحكمة الالهية ، والمحاولات المتجددة باستمرار للعودة الى التقاليد الأولى .

ويعد القسم الخاص بتصوير التصوف من أحسن أقسام الكتاب . وينبىء التصوف ـ بناء على وجهة نظر ماكدونالد ـ عن تأثيرات أفلاطونية حديثة ، وليس عن تأثيرات بوذية ، كما يذهب الى ذلك أيضا كل من نيكلسون ، وبراون ، وكارادى فو .

---

(٢٩) ذهب فريق من المستشرقين الى الزعم بتأثر الشريعة الاسلامية بالقانون الرومانى ، جريا على عادتهم فى رد كل شىء فى الاسلام الى مؤثرات أجنبية . وقد ناقش هذا الزعم وأبطله فريق من العلماء منهم الأساتذة عبد الرزاق السنهورى وث فبق شحاته ومحمد يوسف موسى ومحمد سلام مدكور وغيرهم . يقول الدكتور السنهورى فى معرض مقارنته بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى : « فان هذا القانون بدأ عادات ... ونما وازدهر عن طريق الدعوى والاجراءات الشكلية . أما الشريعة الاسلامية فقد بدأت كتابا منزلا من عند الله ونمت وازدهرت عن طريق القياس المنطقى والأحكام الموضوعية ... الا أن فقهاء المسلمين امتازوا عن فقهاء الرومان ، بل امتازوا عن فقهاء العالم باستخلاصهم أصولا ومبادىء عامة من نوع آخر هى أصول استنباط الأحكام من مصادرها وهذا ما سموه بعلم أصول الفقه » . (أصول القانون ص ١٣٢) . فالصلة ـ كما يقول العالم الفرنسى « زيس Zeys » منقطعة تماما بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى لاعتماد هذا على العقل البشرى بينما تقوم الشريعة الاسلامية على الوحى الالهى .. فكيف يتصور التوفيق بين نظامين قانونيين وصلا الى هذه الدرجة من الاختلاف ؟

(انظر : المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان ـ مكتبة القدس ـ بغداد ١٩٨١ ص ٧٣ ـ ٨٩) .

والصحيح هو أن الصوفية قد نشأت تحت تأثيرات قوية مسيحية ، وافلاطونية حديثة ، غير أنه لا يمكن تجاهل التأثير البوذى فى التطور المتأخر للصوفية (٣٠) .

---

(٣٠) لابد لنا هنا من أن نشير الى أمرين هامين :

أولا : التصوف بوجـــه عام من الأمور التى تتعلق بصفة أساسية بالشعور والوجدان . والنفس الانسانية واحدة لدى البشر على الرغم من اختلاف الشعوب والأجناس . ومن هذا المنطلق نجد أنه يمكن أن تصل نفس بشرية عن طريق المجاهدات والرياضات الروحية الى ما تصـــل اليـــه نفس أخرى دون أن يكون قد تم بينهما أى اتصال .

وهذا يعنى وحدة التجربة الصوفية ولا يعنى مجرد النقل أو التأثر .

ثانيا : هناك نوعان من التصوف فى الاسلام : أحدهما هو التصوف السنى الذى يمثله أغلب متصوفة الاسلام . وهذا النوع اسلامى النشأة والتطور ترسم فى خطاه حياة النبى وصحابته والزهاد الأوائل ، وثانيهما هو التصوف الفلسفى وهو النوع المتأخر الذى يمكن أن يكون قد تأثر بطريقة أو بأخرى بعناصر أجنبية . ولسنا ننكر أن يكون بعض متفلسفة الصوفية قد تأثروا بمؤثرات أجنبية ، ولكن يجب أن يكون واضحا أن هـــذا النوع من التصوف قد ظهر بعد أن كان زهد الزهاد قد استقر فى القرنين الأولين من الهجرة على أساس اسلامى خالص ، وأصبح دعامة لكل تصوف لاحق .

وعلى هذا فان ما ذهب اليه الأوائل من المستشرقين من رد التصوف الاسلامى كله الى أحد المؤثرات الأجنبية ما بين أفلاطونية حديثة أو مسيحية أو فارسية أو هندية كان تعميما خاطئا . وقد تنبه الى ذلك كثير من متأخرى المستشرقين . فقد عدل نيكلسون موقفه الذى يشير اليه بفانيولار ، وقرر أنه لا ضرورة للتحرى عن أصل مبادىء التصوف خارج دائرة الاسلام ، كما بحث ماسينيون مصطلحات الصوفية وأرجعها الى مصادر أربعة تتمثل فى القرآن وهو أهمها ، وفى العلوم العربية الاسلامية كالحديث والفقه وغيرهما ، وفى مصطلحات المتكلمين الأوائل ، وأخيرا فى اللغة العلمية التى تكونت فى الشرق فى القرون الستة المسيحية الأولى من لغات أخرى كاليونانية والفارسية وغيرهما . كما قرر أحد المستشرقين المعاصرين وهو « سبنسر ترمنجهام Spencer Trimingham » أن التصوف الاسلامى تطور طبيعى داخل حدود الاسلام ولا تمت الا بصلة طفيفة للمصادر غير الاسلامية .

(راجع : مدخل الى التصوف الاسلامى للدكتور أبو الوفا التفتازانى — دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٦ — ص ٢٩ — ٤٤) .

ويورد « ماكدونالد » ملحق يقدم فيه ـ فى ترجمة انجليزية جيدة ـ سلسلة من قضايا العقيدة المحمدية التى كانت تشكل أساس التعليم ، وأساس الدراسة العقدية .

واذا كان « ماكدونالد » قد عرض فى هذا الكتاب علم العقيدة الاسلامى فانه يصور فى كتابه الثانى «الموقف الدينى والحياة فى الاسلام» : (The religious Attitude and life in Islam.) لسلوك الدينى وحياة المسلمين ، وقد استرشد فى ذلك بكتاب وليم جيمس(٣١) فى تنوع الخبرة الدينية (Varieties of religious Experience) . والأمر الجدير بالاعتبار فى هذا الكتاب الثانى لماكدونالد : هو اثبات ان التصوف يعد القوة الأكثر حيوية فى الدين الشخصى للمسلم ، والشىء الممتاز أيضا هو ما يذكره « ماكدونالد » عن علاقة الشرقى بما فوق الطبيعة . فالفرق بين الشرق والغرب لا يتمثل فى سرعة التصديق لدى الشرقى ، وانما فى عدم قدرته على بناء نسق ثابت منيع للظواهر ، فهو لا يعرف « قوانين طبيعية » .

والذى يعرفه هو « ما فوق الطبيعة » ، وهو لا يحاول أن يخضعه لقانون ، فكل شىء ممكن(٣٢) .

---

(٣١) وليم جيمس (١٨٤٢ ـ ١٩١٠) فيلسوف أمريكى ، يعد المثل الرئيسى للنزعة البراجماتية فى الفلسفة . وله عدا ذلك نظريات فى الدين وعلم النفس والفسيولوجيا . ومن كتبه المترجمة الى العربية كتاب (ارادة الاعتقاد) الذى قام بترجمته المرحوم الدكتور محمود حب الله .

(٣٢) اذا كان المقصود بالشرقى هنا المسلم على وجه الخصوص فاننا نرى هنا تفسيرا خاطئا للعقيدة الاسلامية . فالزعم بأنه غير قادر على بناء نسق ثابت للظواهر لعدم معرفته بما يسمى بالقوانين الطبيعية زعم باطل . فالله فى الاسلام قد خلق هذا الكون ونظمه وسيره حسب خطة محكمة ونظام دقيق . والكون كله يسير وفق سنن الله ، وسنن الله لا تتبدل « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (الأحزاب : ٦٢) وهذه السنن الالهية هى ما يعرف بالقوانين الطبيعية . فالمسلم اذن يعترف بالقوانين الطبيعية ويعترف بأنها ثابتة ، لأن الله أراد لها ذلك ولأنه هو خالقها . من هنا يستطيع المسلم أن يبنى نسقا ثابتا للظواهر الطبيعية لأنها لا تسير فى اعتقاده على غير هدى ، غير أنه لا يغيب عن ذهنه أن هذه القوانين الطبيعية من صنع الله . فأى ضير فى هذا ؟ !!

أما الكتاب الثالث وهو جوانب مختلفة فى الاسلام ، فيقوم على محاضرات ألقاها « ماكدونالد » فى المعهد اللاهوتى فى هارتفورد . وغاية هـذه المحاضرات أن تكون بمثابة مدخل لدراسة الاسلام الحاضر ، بالنسبة لهؤلاء الذين سيكونون مبشرين فى المستقبل .

وقد رسم المؤلف فى عشر محاضرات صورة واضحة وضوحا رائعا للشرق الاسلامى ، وشخص مؤسس الدعوة ، وتعاليمه ، والقرآن وعلم الكلام المحمدى ، والميتافيزيقا المحمدية ، والتصـوف ، والدراويش ، والموقف المحمدى تجاه المسيح ، والانجيل المسيحى والتبشير المحمدى ، والتربية والحياة الباطنية .

والنتيجة الرئيسية لأبحاثه : هى أنه من الناحية العملية يعد كل الناس الذين يفكرون تفكيرا دينيا متصوفة ، وأنه يجب البحث عن الدين الاسلامى الحقيقى بين الدراويش(٣٣) . ولكن هناك نسبة ضئيلة من هؤلاء الدراويش يعيشون منقطعين لحياة الزوايا ، أما الغالبية منهم فانهم يعيشون فى عالم الناس ، ولكنهم مرتبطون بالطرق الصوفية عن طريق عهد ، أو نذر معين لأوقات معينة ، مثل أصحاب طريقة (الترتسياريير Tertiarier) (٣٤) فى العصور الوسطى .

وهذا الكتاب من الكتب التى ينصح بقراءتها على وجه الخصوص ، بوصفه دليلا عمليا لدراسة الاسلام الحديث ، وبوصفه عونا ذكيا للمبشرين فى تنصير الجماعات المحمدية .

* * *

---

(٣٣) لا يجوز البحث عن الدين الاسلامى الحقيقى بين الدراويش أو غيرهم من فرق اسلامية مختلفة ، وانما يجب أن يبحث عنه فى كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة ، فكل ما وافقهما فهو اسـلام وكل ما خالفهما فليس من الاسلام فى شىء ، فالاسلام ممثلا فى القرآن والسنة الصحيحة هو الحكم الفصل وهـو المقياس الأوحد الذى يحكم به على كل ما عـداه . ولا يجوز اسلاميا ولا علميا قلب الحقائق واعتبار الفرق الاسلامية الشائعة أيا كان عدد أتباعها هى الحاكمة على الاسلام . وقد درج كثير من المستشرقين على الخلط بين الاسلام وواقع المسلمين ، ولا يزال يتبنى هـذا الاتجاه الخاطىء عدد من المستشرقين المعاصرين .

(٣٤) الترتسياريير هى احدى الطرق المسيحية الكاثوليكية التى تضم جماعات من الرجال أو جماعات من النساء بغرض السعى نحو حياة مسيحية مثالية تحت ارشاد الطريقة .

١٠ ـ **مرجليوث** (Margoliouth) :

عرض « مرجليوث »(٣٥) فى محاضرات (هيبرت (Hibbert) فى عام١٩١٣العناصر التى أسهمت فى صنع المذهب المحمدى الأصلى.ويعد القرآن أساس الاسلام ، وفى أثناء حياة النبى كان يوحى اليه من وقت الى آخر بآيات من النموذج الأصلى السماوى للقرآن ، وقد جعله ذلك فى وضع يستطيع فيه أن يفصل فى المسائل اليومية التى تعرض عليه ، بوصفه زعيم الجماعة الجديدة .

وبعد وفاة محمد قام الخليفة الأول بجمع كل آيات القرآن . وبعد ذلك بحوالى اثنتى عشرة سنة تم اخراج نسخة رسمية للقرآن .

ولكن على الرغم من الاعتقاد القائل بأن القرآن يعد وحيا كافيا لكل العصور ، بالنسبة للعقيدة ، والأخلاقيات ، فانه قد برزت آلاف المسائل التى لم ترد لها اجابة فى القرآن ، ومن أجل ذلك كان لابد من اكماله

---

(٣٥) د . س . مرجليوث (١٨٥٨ ــ ١٩٤٠) مستشرق انجليزى . يعد من أشهر أساتذة العربية ومن بين أئمة المستشرقين ، كان أستاذا لكرسى اللغة العربية فى جامعة أكسفورد منذ عام ١٨٨٩ ، كما كان يتمتع بعضوية عدة مجامع علمية كالمجمع اللغوى البريطانى والمجمع العلمى العربى بدمشق والجمعية الشرقية الألمانية . وله دراسات عديدة عن الاسلام وتاريخه والأدب العربى وأصوله . وقد قام بترجمة الكثير من النصوص العربية وتحقيق عدد من المخطوطات العربية .

ومن بين مؤلفاته : محمد ونهضة الاسلام (١٩٠٥) . والاسلام (١٩١١) . وانتشار الاسلام (١٩١٤) . وجنوب الجزيرة العربية والاسلام . والزندقة فى الاسلام والمسيحية . وأصول الشعر العربى .

والبحث الأخير هو الذى اعتمد عليه الدكتور طه حسين فى كتابه عن الشعر الجاهلى الذى صدر عام ١٩٢٦ . ولم يشر بفانموللر هنا الى كتاب أصول الشعر العربى وما أثاره من ردود فعل مختلفة نظرا لأن مرجليوث قد نشر بحثه عام ١٩٢٥ أى بعد صدور كتاب بفانموللر بعامين . وقد قام الدكتور يحيى الجبورى بترجمة بحث مرجليوث الى العربية وقدم له بمقدمة قيمة عرض فيها « فكرة الانتحال : كيف نشأت ، وكيف عالجها الكاتبون قديما وحديثا والام انتهت » . وقد صدرت هذه الترجمة تحت عنوان : أصول الشعر العربى ــ مؤسسة الرسالة : بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١ .

بطرق شتى : عن طريق التشريع ، والطقوس ، والاخلاق ، وعلم الكلام ، والفلسفة ، والتاريخ(٣٦) .

وقد كانت المهمة التى أخذها « مرجليوث » على عاتقه هى ارجاع هذه الأمور المكملة الى مصادرها الأصلية .

وقد قدم « مرجليوث » بالاضافة الى ذلك فى دليل كمبردج للعلوم والآداب : (Cambridge Manuals of Science and Literature) عرضا شعبيا جيدا للاسلام وتاريخه بوصفه صورة من صور الدين والحضارة .

* * *

---

(٣٦) لقد انبثقت النهضة العلمية التى شهدتها الأمة الاسلامية أساسا من منطلق أن القرآن هو مركز الدائرة لكل الجهود العلمية ، فكانت كلها جهودا من أجل خدمته والحفاظ عليه ومحاولة فهمه وادراك مقاصده . وقد راعى الاسلام ما سوف يجد من تطورات فى حياة الانسان وما سيطرأ على حياة المجتمعات من ظروف لم يكن لها نظير من قبل ، فلم يشأ أن يسد أمامه المنافذ ويكبل عقله ويجمد تفكيره ، وانما أعان الاسلام المسلم وشجعه على تكييف حياته طبقا لظروف العصر الذى يعيش فيه مع الحفاظ فى الوقت نفسه على الأسس الاسلامية الثابتة .

ومن المعروف أن هناك فى الاسلام ما يسمى بالأصول والفروع أو الثوابت والمتغيرات . فالثوابت أو الأصول لا مجال فيها للتعديل أو التغيير ، أما الفروع فهى مجال التغيير أو التعديل طبقا لظروف العصر ، على أساس من القواعد الاسلامية الثابتة . فالحياة الاسلامية الصحيحة اذن لا تبتعد على الاطلاق فى ظل المتغيرات المختلفة عن أصولها وقواعدها الأساسية . ومرجليوث لم يفهم هذه المرونة التى يقصدها الاسلام فى الأمور الفرعية وفهم أن هناك قصورا فى القرآن كان فى حاجة الى اكمال . وهذا أمر غير وارد اطلاقا . فانطلاق المسلم فى بناء نهضة علمية شملت الفقه الاسلامى بمدارسه المختلفة وعلم الكلام والفلسفة والتاريخ والأخلاق وغير ذلك من علوم دينية أو دنيوية كان استجابة أصيلة لنداء القرآن الذى حض على العلم ورفع من شأن العلماء واحترم العقل الانسانى وشجعه على السير فى طريق البحث والتأمل والابداع . وكان الاسلام فى كل ذلك حانيا عليه الى أقصى الحدود حين قرر أن المسلم اذا اجتهد فأخطأ فله أجر واذا اجتهد فأصاب فله أجران .

١١ ـ مارتين هارتمان (Martin Hartmann) :

أما « مارتين هارتمان»(٣٧) ـ الأستاذ بمعهد اللغات الشرقية فى برلين ، والذى توفى منذ وقت قصير ـ فاننا مدينون له بالفضل ، لبحوثه القيمة عن الدين الاسلامى ، والقائمة على ملاحظات وخبرات خاصة ، وان اصطبغت أيضا فى بعض الأحيان بصبغة ذاتية بدرجة كبيرة .

ويقدم لنا « هارتمان » فى الباب الأول من كتابه « الاسلام »(٣٨) وهو القسم التاريخى ـ بعد نبذة قصيرة عن تاريخ العرب القديم ـ يقدم صورة لحياة « محمد » وتعاليمه ، على أساس من القرآن والأحاديث النبوية ويتتبع بعد ذلك تطور الجماعة الاسلامية ، من عصر الخليفة الأول « أبى بكر » الى مؤتمر (الجيسيراز Algeciras) (٣٩) .

أما الباب الثانى فقد خصصه للعقيدة والشريعة ، ويتضمن حصرا للمبادىء الأساسية للعقيدة وتكاليف العبادات .

---

(٣٧) مارتين هارتمان (١٨٥١ — ١٩١٨) مستشرق ألمانى . عمل مترجما ومستشارا للقنصلية الألمانية فى بيروت أكثر من عشر سنوات ، فأتقن العربية كأحد أبنائها ، ثم عين أستاذا للسريانية والدراسات الاسلامية فى برلين .. وقام بعد ذلك برحلات الى سوريا ولبنان ومصر وتركستان . وقد شارك فى تحرير دائرة المعارف الاسلامية وأسس الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الاسلامية ، وكان يعد عميد هذه الدراسات فى ألمانيا . وله دراسات عديدة فى اللغة العربية والأدب العربى والعروض والقوافى ودراسات عن الاسلام وتاريخه وثقافته ، وقام بتحقيق ونشر بعض المخطوطات العربية . وترجم بعضها الى الألمانية . وله مئات المقالات فى مجلات مختلفة .

ومن مؤلفاته : الاسلام تاريخا وعقيدة وشريعة . والشرق الاسلامى ـ فى جزئين ، والاسلام أفريقيا ، وتاريخ الاسلام فى الصين .

(٣٨) هو الكتاب الذى أشرنا اليه فى الهامش السابق تحت عنوان : الاسلام تاريخا وعقيدة وشريعة . وقد صدر عام ١٩٠٩ فى ليبتزج .

(٣٩) الجيسيراز تعد أول مدينة أوروبية احتلها العرب فى الأندلس عام ٧١١ م . تقع فى جنوب أسبانيا بالقرب من جبل طارق . ويبلغ تعداد سكانها حاليا حوالى ٨٢٠٠٠ نسمة : وأما مؤتمر الجيسيراز (أو مؤتمر الجزيرة) فقد عقد فى عام ١٩٠٦ لتنظيم وضع فرنسا وأسبانيا فى المغرب .

وبعد ذلك يتحدث « هارتمان » على وجه الخصوص باسهاب عن الحق الخاص ، والحق العام ، وفقا للمذهب الشافعى ، وتشكل خاتمة الكتاب نبذة عن المجتمع الاسلامى ، وفصلا عن انتشار الاسلام ، مع ملاحظات تاريخية واحصائية قيمة .

والمعلومات الخاصة بمادة الكتاب عن حياة « محمد » وعن القرآن ، والعقيدة ، والتكاليف الدينية ، تستند على دراسة خاصة للمصادر ، وهى معلومات موثوق بها وان كانت ايضا غير كافية ، فهارتمان لم يخصص للحديث عن التصوف الا بضع سطور فقط ، مع أن التصوف يعد ذا أهمية قصوى ، وبدونه لا يمكن فهم الاسلام ، كما ان « هارتمان » لم يشر الى امور السحر(٤٠) ، وبصفة خاصة نجد ان النسق الاجتماعى لمفهوم « الحاجة الى التجمع » (Gesellungen) لدى « هارتمان » يسود تناوله للموضوع كله ، وقد كان يجب عليه ان يبرهن اولا على صحة هذا النسق .

ويتجه هارتمان بكتابه « خمس محاضرات عن الاسلام »(٤١) الى الجمهور العريض .

يتحدث فى المحاضرة الأولى عن تاريخ ما قبل « محمد » ، وعن

---

(٤٠) من الخطأ الاعتقاد بأن الفهم الصحيح للاسلام يتوقف على فهم التصوف . فاذا كان المقصود بالتصوف هو الاتجاه الزهدى فى الاسلام أو التصوف السنى فان هذا قد انبثق من الاسلام نفسه ، وبالتالى فان فهم هذا التيار يتوقف على فهم الاسلام نفسه وليس العكس . وأما اذا كان المقصود بالتصوف هو تلك العناصر الأجنبية التى أضيفت على الحركة الصوفية فان فهم الاسلام لا يتوقف عليها بأى حال من الأحوال لأنها ليست من الاسلام فى شىء . وأما ادخال امور السحر فى عرض الاسلام أو فى فهمه فانه لأمر يدعو الى الغرابة حقا . فقد تخى الاسلام على الخرافات والأوهام والشعوذة والكهانة وأفسح الطريق للعقل الانسانى ليفهم ويدرك ويميز بناء على أسس واضحة لا التواء فيها ولا اعوجاج .
فما شأن الاسلام بالسحر اذن ؟

وهكذا نجد انه ليس هناك مبرر على الاطلاق لهذا النقد الذى وجهه بفانموللر الى هارتمان لأنه لم يذكر التصوف الا فى بضعة أسطر ولم يشر الى أمور السحر .. الخ .

(٤١) نشرت هذه المحاضرات فى ليبتزج عام ١٩٠٢ .

« محمد » والخلفاء الأول ، وفى المحاضرة الثانية : يتحدث عن القرآن وتعاليم « محمد » ، وفى المحاضرة الثالثة : يتحدث عن عصر ازدهار الخلافة وعن عصر الانهيار .

وهذه المحاضرات الثلاث ذات طبيعة تاريخية ، ولا تتجاوز المعلومات التى نجدها فى المراجع المتعلقة بذلك بما فيها كتابه هو عن « الاسلام » .

أما المحاضرتان الأخيرتان : الرابعة : عن نظم الدولة الاسلامية حتى العصر الحديث ، والخامسة : عن الوضع الراهن للعالم الاسلامى ، فانهما على العكس من ذلك . يمكن أن يقدما أيضا شيئا لكل من المؤرخ ، وعالم الاجتماع ، والمستشرق ـ كما يرى هارتمان نفسه ـ .

* * *

١٢ ـ برونو فيوليت (Bruno Violet) :

يتحدث « فيوليت »(٤٢) فى محاضرة قصيرة عن مسألتين : المسألة الأولى هى : هل الاسلام دين مستقل ؟ والمسألة الثانية هى : هل هناك حضارة للاسلام تجمعها وحدة واحدة ؟

وتقول الاجابة : ان الاسلام دين يعبر بطريقة استقلالية ، عن شعور الاعتماد على الله ، وهو حضارة تنبىء عن وحدة معينة ، عن طريق الدين ، على الرغم من الاختلافات العميقة لحضارة العديد من شعوبه ، وبلاده ، وعصوره .

ولم يستخدم المؤلف للأسف الا مصدرا واحدا فقط وهو القرآن ، ولا شك أننا نحصل منه على الصورة الأقدم للاسلام ، ولكننا لا نحصل منه على صورة الاسلام الراهن(٤٣) ، وقد كان يتحتم على المؤلف عندما يعرض الاسلام الراهن أن يضم الى القرآن بحوثا دينية حديثة ، ومن خلال ذلك تنشأ صورة أخرى تماما .

* * *

---

(٤٢) برونو فيوليت مستشرق ألمانى ، وقد صدر له عام ١٩١٦ فى برلين كتاب عن الاسلام بعنوان : الدين الاسلامى وحضارته .

(٤٣) تعبير (الاسلام الأقدم) و (الاسلام الراهن) يوحى بأن هناك أنواعا مختلفة من الاسلام عبر التاريخ ، كما نسمع اليوم أيضا نغمة شعوبية تحاول أن تضفى شعوبيتها على الاسلام ، وعلى ذلك يمكن أن

=

١٣ ـ شوبرت (Schubert) :

يبحث « شوبرت »(٤٤) الوضع الدينى الكنسى فى صلاته التاريخية ويتحدث فى بادىء الأمر عن « المسيحية فى أوساط الأديان » . وهنا يفرد فصلا خاصا عن « أديان التوحيد غير المسيحية ، وبصفة خاصة الدين الاسلامى » . وفى هذا الفصل يوجد أحدث البحوث فى صورة رائعة .

* * *

١٤ ـ زايتس (Seitz) :

يتناول « زايتس »(٤٥) شخصية محمد وصفاته ، وكذلك تأسيسه لدينه ، وذلك فى أغلب الأحيان فى صورة اقتباسات حرفية ، من المراجع الاسلامية الحديثة ، ويبرز فضائل محمد ، ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا فى ابراز جوانب ضعفه ، أى ابراز الحاسة الدنيوية « لرسول الله » وقصور التبرير الالهى « للنبى » . ويتعرض أيضا عمل « محمد » لمثل هـذا النقد السلبى(٤٦) .

* * *

=

تكون هناك عدة أنواع مختلفة من الاسلام تعيش فى العصر الواحد فى شعوب مختلفة . والأسلوب العلمى الصحيح يفرض على الباحث أن يدرس الاسلام ـ الذى هو دين الله ـ فى مصادره الأصلية ، لا فى ممارسات الشعوب التى قد تقترب أو تبتعد عن الاسلام .

(٤٤) هانز فون شوبرت باحث ألمـانى . وقد صدر كتابه الذى تحدث فيه عن الاسلام عام ١٩٢٠ فى توبنجن بعنوان (وضعنا الدينى الكنسى فى صلاته التاريخية) .

(٤٥) أنطون زايتس مستشرق ألمانى ، وقد صدر كتابه عام ١٩٢١ فى بادربورن (Paderborn) بعنوان : تأسيس محمد للدين .

(٤٦) الاسلام دين ودنيا ، ولهذا اهتم الاسلام بأمور الدنيا كما اهتم بأمور الآخرة . واعتبار اهتمام النبى بالأمور الدنيوية نقطة ضعف أمر يـدل على عدم فهم الاسـلام . ويعنى أن الباحث يأخذ الفهم المسيحى للمسيح ويجعله مقياسا يطبقه على محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا أسلوب غير علمى وغير مقبول . أما التبرير الالهى للنبى فيجب أن يبحث عنه فى القـرآن الكريم نفسه ، فهو أفضل سبيل لبيان أن رسالة محمد من عند الله . ولكن يبدو أن الباحث يريد هنا أيضا أن يجعل من الفهم المسيحى للمسيح من حيث الصلب والفداء .. الخ مقياسا للتبرير الالهى يطبقه على النبى . وهذا أيضا أمر مردود لا يمكن قبوله .

١٥ ـ ليبـــل (Lippl) :

يقدم « ليبل»(٤٧) نبذة عن نشاة الاسـلام وتطوره وتعاليمه : كثمرة لسلسلة من المحاضرات العامة . وهى محاضرات « لعلها تكون وسيلة مساعدة مناسبة لتمهيد اولى لتاريخ الدين المحمدى وجوهره » . وفى الخاتمة نجد قائمة بالمراجع المختارة بعناية .

* * *

١٦ ـ شبنجلر (Spengler) :

يوجه « شبنجلر »(٤٨) اهتمامه الخاص لمشكلات الحضارة العربية ، ويصور الاسلام على انه (النزعة التطهرية Puritanismus) لمجمـوعة الاديان السحرية المبكرة كلها ، والذى ظهر فقط فى صورة دين جديد ، وقد حدث هـذا فى محيط الكنيسـة الجنوبية واليهـودية التلمودية ، وسر انبجاح الاسطورى الذى حققه الاسلام يكمن فى هذا المعنى العميق جـدا(٤٩) ، وليس فى عنف الاكتساح الحربى .

وعلى الرغم من ان الاسلام قد مارس تسامحا عجيبا لاسباب سياسية ، فان اليهودية ، والديانة الفارسية (Mazdaismus) والكنيسة المنيحية الجنوبية والشرقية قد اختفت فيه بسرعة فائقة وبشكل تام ...

ان الاسـلام ليس دينا صـحراويا ، كمـا ان عقيـدة (تسفنجلى Zwingli) (٥٠) ليست دينا لسكان الجبال العالية ، وانه لمن قبيل

---

(٤٧) جوزيف ليبل : مستشرق المانى . وقد صدر كتابه عن الاسلام عام ١٩٢٢ بعنوان : الاسلام فى نشأته وتطوره وتعاليمه ..

(٤٨) هو اسفالد شبنجلر (١٨٨٠ ـ ١٩٣٦) أحد فلاسفة الحضارة الالمـان . وقد نال كتابه (غروب الحضـارة الغربية) شهرة واسعة . وقد تناول فيه مشاكل الحضـارة العربية فى الفصـل الثالث من الجزء الثانى . وقد صدر الكتاب لاول مرة عام ١٩٢٢ .

(٤٩) يقصد بذلك النزعة التطهرية المشار اليها .

(٥٠) تسفنجلى (١٤٨٤ ـ ١٥٣١) زعيم الاصلاح الدينى فى سويسرا ضد الكنيسة الكاثوليكية . كان معاصرا لمارتن لوثر ولكنه اختلف معه فى بعض الأمور .

المصادفة (!) ان تكون الحركة التطهرية ـ التى كانت الظروف فى العالم السحرى قد تكاملت لظهورها ـ قد انطلقت من عند رجل من مكة ، وليس من عند رجل من القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح (Monophysit) او من عند رجل من اليهود »(٥١) .

* * *

١٧ ـ فرانتس بول (Frants Buhl) :

لقد قدم لنا علم الاسلاميات فى بلاد الشمال بحثين قيمين . ففى سلسلة كتيبات دينية تاريخية يلقى كتاب « فرانتس بول »(٥٢)

---

(٥١) ينطلق شبنجلر من افتراض مسبق وهو أن الاسلام دين بشرى جاء حصيلة بشرية لتطور ديانات السحر . ولهذا لا نعجب من استنتاجاته المبنية على هذا الافتراض الباطل . فالمصادفة فى رأيه هى التى لعبت دورها فى ظهور محمد بهذا الدين الجديد . وقد كان الأولى أن يظهر به أحد اتباع المسيحية او اليهودية . ومثل هذه المزاعم معروفة من قديم . وقد قص علينا القرآن أن مشركى مكة اعترضوا عندما جاءهم الحق من عند الله على يد محمد وقالوا : «**لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**» (الزخرف: ٣١) أى هلا انزل القرآن على رجل عظيم كبير فى أعينهم من أهل مكة او الطائف . وقد كان اليهود أيضا ينتظرون ظهور النبى ويستنصرون به على مشركى العرب داعين الله أن يبعث هذا النبى الذى يجدونه مكتوبا عندهم لينصرهم على المشركين . فلما بعث الله محمدا ورأوا أنه ليس من بين صفوفهم كفروا به . يقول القرآن فى ذلك : « **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين** » (البقرة : ٨٩) .

ان التضية ليست تضية مصادفة كما يتخيل شبنجلر ، وليست تضية تمن كما تمنى المشركون واليهود ، وانما هى تضية اصطفاء الهى « **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** » (الحج : ٧٥) . وهو اصطفاء لا يخضع لمقاييس البشر ، ولكن مقدماته كانت ظاهرة كالشمس لكل من عرف محمدا قبل البعثة أو اتصل به من قريب أو بعيد .

أما ارجاع تسامح الاسلام الذى شهد به الاعداء الى مجرد أسباب سياسية . فهذا من قبيل تجريد الاسلام من كل القيم والمبادىء الأصيلة مع أنه الدين الذى جاء لترسيخ كل القيم والمبادىء السامية ـ وقد أعلن ذلك محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

(٥٢) فرانتس بول مستشرق دانماركى . وقد صدر كتابه عن الدين الاسلامى فى كوبنهاجن عام ١٩١٤ .

« المذهب المحمدى بوصفه دينا عالميا » ـ فى عرض مركز ـ نظرة على تاريخ الدين الاسلامى وكيف ينعكس هذا الدين فى البحوث الحديثة .

وبعد أن يقدم وصفا للدين القرآنى ، يبين كيف تطور هذا الدين الى نسق عظيم للاجماع فى العالم الهلينستى ، على صعيد العقيدة والعبادة والقانون ، ويصف من جوانب مختلفة اهمية التصوف ، واثر تقديس الأولياء على الحياة الدينية اليومية ، مع مراعاة خاصة لأهمية التصوف بالنسبة لتقدير النبى ، الأمر الذى يمكن تصويره بأبيات من قصيدة البردة المشهورة فى مدح « محمد » .

* * *

١٨ ـ أويستروب (Oestrup) :

أما البحث الثانى ...

فهو كتاب « أويستروب »(٥٣) الذى الفه لجمهور عريض بعنوان « الاسلام .. الدين المحمدى وتطوره فى عرض اجمالى » ، ويتضمن هذا الكتاب بعض الأمور التى لم يكن لها مكان فى كتاب « بول » ، وذلك مثل الحديث عن الفرق التى يندرج تحتها الحديث عن الشيعة ، ووصف أكثر عمومية للظروف المتعلقة بأمور العبادة فى الشرق مع مراعاة للظروف السياسية فى البلاد المختلفة للشرق المعاصر . ويشير أويستروب أيضا الى حركة الوحدة الاسلامية (Panislamismus) ويهتم بصفة خاصة بالفرق بين الاسلام الآسيوى والاسلام العربى الافريقى . ويلتزم فى عرضه للدين القديم بالصورة المتوارثة بشكل أكثر مما يصنعه البحث الحديث فى هذا الصدد .

* * *

---

(٥٣) أويستروب (١٨٦٧ ـ ١٩٣٨) مستشرق دانماركى . حصل على الدكتوراه برسالته عن ألف ليلة وليلة ، وقد أرجعها فى هذه الرسالة الى جذورها الأصلية ، ولم ينازعه فى ذلك أحد حتى اليوم ، قام برحلات كثيرة الى الشرق الأوسط .

ومن مؤلفاته : موجز تاريخ الدين الاسلامى ، واللغة العربية ، وكان ما كان ، وقانون وأنواع المجاملات الشرقية ، وبيان العملة العربية والتركية .

وله بحوث أخرى منها : الاسلام فى القرن التاسع عشر ، والمغاربة والمغرب ، ومصر الحديثة ، وتركيا الفتاة .

١٩ ـ كاستريز (H. de Castries) :

وهناك مؤلفات تعد أقل أصالة من البحوث المشار اليها حتى الآن ، لاثنين من الفرنسيين المشتغلين بالدراسات الاسلامية وهما : (دى كاستريز وكارا دى فو) .

أما كتاب أولهما : وهو « الاسلام »(٥٤) فانه لا يشتمل الا على انطباعات عن الاسلام ، ولكنه لا يتضمن صورة محايدة عن الاسلام ، فهو يرى فى الاسلام حلقة وسطى وضرورية بين عبادة الأوثان والمسيحية ، وهو يأسف ، لأن الغالبية من المستشرقين ـ باستثناء عدد قليل من بينهم ، ممن ليس له تأثير فى السياسة ـ يميلون الى القول بأن الدين المحمدى يعد صورة من صور الوثنية .

ويبدو له أن الاسلام يختلف عن المسيحية فى ثلاث نقاط وهى : تعدد الزوجات ، وتصور الجنة ، والتواكلية(٥٥) .

وفى نهاية الكتاب نجد بعض الملاحق الهامة ، وعلى وجه الخصوص نجد فصلا شاملا عن « أفكار العصر الوسيط عن « محمد » وعن الدين الاسلامى » .

(Les idées au moyen âge sur Mahomet et la religion musulmane)

ولكن المؤلف كان يمكنه هنا ايضا أن يستفيد من السابقين له فى هذا المجال ، ونخص بالذكر (دانكونا D'ancona) (ص١٥١، ١٥٤ وما بعدها) .

---

(٥٤) صدر الكتاب فى باريس عام ١٨٩٦ تحت عنوان :
(L'Islam : Impressions et études)

(٥٥) التواكلية (Fatalism) ليست من الاسلام فى شىء . فالاسلام يعرف التوكل ولكنه يرفض التواكل . فالتوكل مقرون بالأخذ بالأسباب . أما التواكل فهو توكل كاذب لأنه لا يأخذ بالأسباب . وقد خلط كثير من المستشرقين بين المفهوم الحقيقى للتوكل فى الاسلام وما رأوه شائعا فى أوساط المسلمين فى عصور التأخر والانحطاط من تواكلية بغيضة وسلبية مقيتة جعلت المسلمين فى مؤخرة ركب التقدم والحضارة . وقد نسب المستشرقون هذه التواكلية للاسلام والاسلام منها براء ..

ان رأى كاستريز فى « محمد » ايجابى أكثر مما ينبغى ، كما انه يرى فى القرآن أيضا من البداية حتى النهاية عملا فريدا ورائعا ، وباختصار : انها انطباعات وليست دراسة علمية !(٥٦) .

وقد وجهت الى المؤلف انتقادات مفصلة ، من جانب كل من (رينيه باسيه Basset) و (كارادى فو Carra de Vaux) وهما يعترفان للمؤلف بالصدق الذاتى ، والحماس للاسلام ، وان كانت لهما أيضا مآخذ كثيرة على الكتاب من ناحية التعمق العلمى .

* * *

٢٠ ـ كارا دى فو (Carra de Vaux)

يقول « رينيه باسيه » : انه لا يوجد فى الفرنسية كتاب الفه مستشرق ، وخصصه للجمهور العريض مثل كتاب «كارا دى فو»(٥٧) (المذهب المحمدى Le Mahométisme) الذى يقدم ـ فى موضوعه ـ معرفة واضحة وعرضا سلسا .

ويبدأ « كارا دى فو » كتابه بتقديم صورة حية لبلاد العرب قبل الاسلام ، حتى الوقت الذى بدأ فيه محمد دعوته ، ثم يتحدث عن الظهور الأول لمحمد واصطفائه .

---

(٥٦) اذا كان كاستريز ـ وهو غير مسلم ـ لم يجد فى سيرة محمد الا كل ما هو ايجابى ومشرق ، ولم يجد فى القرآن الا الروعة والتفرد ، فلماذا ينكر عليه بفانهوللر ذلك باسم البحث العلمى ؟ ألا تكون دراسة الاسلام دراسة علمية الا اذا أتت بمثالب ؟ ان هذا حقا موقف غريب لا مبرر له فى سوق العلم .

(٥٧) هو البارون كارا دى فو المولود عام ١٨٦٧ . درس العربية وقام بتدريسها فى المعهد الكاثوليكى فى باريس . وقد كان أكثر اهتمامه موجها الى مجالات الرياضيات والفلسفة والتاريخ . وله فيها دراسات عديدة . وقام أيضا بنشر وترجمة نصوص عربية مختلفة .

ومن مؤلفاته : الاسلام والعبقرية السامية والعبقرية الآرية (١٨٩٨) . والغزالى (ترجمه عادل زعيتر الى العربية) ، وابن سينا ، ومفكرو الاسلام (فى خمسة أجزاء) ونظرية الاسلام (١٩٠٩) .

ويتبع المؤلف ذلك بالحديث عن تاريخ « محمد » حتى وفاته ، وقد شرح المؤلف بطريقة واضحة الموضوعات التالية ـ حسب ترتيب ذكرها :

عرض أحداث العصور الأولى بعد موت محمد ـ الصراعات حول خلافته ـ التحرير النهائى للقرآن ـ التثبت من المأثورات النبوية ـ رد فعل الروح والعقل والحرية ضد استبداد التعاليم الاعتقادية ، وبوجه خاص ضد استبداد التواكلية ـ القضاء على نظرية حرية الارادة ـ انتصار نظريات الغزالى ، ذلك الانتصار الذى كان وخيم العواقب بالنسبة لمستقبل الاسلام(٥٨) . (والمؤلف يقارن بين الغزالى وبين توماس الاكوينى) مولد الصوفية الغريبة عن الروح الأصلية للاسلام ـ وتكون الطرق الدينية كنتيجة لها .

ويتناول « كارا دى فو » فى القسم الثانى ـ كما فعل (ليترى Littré) من قبله ـ رد فعل العقل الآرى ضد النزعة السامية للاسلام الأصلى ، وبصفة رئيسية فى الاتجاهات الشيعية والصوفية ، ولكنه هنا يبالغ فى تقدير القيمة الحضارية لصورة « الظاهرة الشيعية » للاسلام ، ويعرض هذه الصورة بطريقة متحيزة ، بوصفها صراع الفكر الحر الجرىء ضد المذهب العقدى الأصلى ، الموصوف بضيق الأفق وعدم الحركية (la lutte D'une pensée libre et large contre une orthodoxie étroite et inflexible)

والأحرى هو ما أثبته « جولدتسيهر » من ان ما أتى به الفرس لم يكن أبدا سعة أفق دينية ولا تسامحا ، ولا تزال هذه الآراء حول اهمية التناقضات العرقية السامية الآرية بالنسبة لتطور الاسلام ـ لا تزال فى حاجة الى مراجعة وتدقيق .

أما الكتاب الثانى لكارا دى فو وهو (نظرية الاسلام La Doctrine de l'Is'am') فقد اهتم فيه بتقديم عرض شعبى للدين الاسلامى الأصلى ، بطريقة فلسفية مع مقارنته بأديان أخرى ، وهكذا يتناول فى عشر فصول الموضوعات التالية :

---

(٥٨) لقد أسيء فهم الغزالى من جانب أكثر الباحثين ، وحملوه مسئولية انهيار الحضارة الاسلامية . وهذا تبسيط غير مقبول لمشكلة معقدة لها أسباب عديدة . ولنا فى الغزالى رؤية مختلفة عن هذا الفهم السائد بسطناها فى كتابنا : « المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت » .

الصلاة والحياة الآخرة والنواكلية والزكاة ، والأساطير حول عيسى ومريم ، والحج الى مكة ، والجهاد ، ومكانة المرأة ، وتربية الأطفال ، والتصوف ، ومستقبل الاسلام .

ثم يتبع ذلك بفصل ختامى يتناول فيه جزئيات شتى : قائمة مراجع قاصرة وملاحظات عن المآذن والأجراس ، والموسيقى ، والتصوير ، والضرائب ، والتقويم الفلكى ، والأعياد والصوم ورجال الدين ، وما الى ذلك من موضوعات ، وقد تناول ذلك كله فى اسهاب كثير وسطحية !

* * *

دراسات تبشيرية عن الاســـلام

يعتبر تصوير المبشرين للدين الاسلامى ذا نوعية خاصة ، وفيما يلى نورد بعض النماذج من دراسات المبشرين للاسلام :

١ ـ أرنولـــــد (J. M. Arnold) :

لقـد عمـل « ج ٠ م ٠ أرنولد » مبشرا فى أوسـاط المحمـديين فى يافا ، ، وفى جنـوب افريقيـا ، وله كتـاب كان يحمل ابتـداء العنوان التالى : « اسماعيل أو الكتاب المقدس والقرآن » وقد طبع هـذا الكتاب فى انجلترا أربع طبعات ، وصادف أيضا نجاحا عمليا ، أدى الى تكوين « جمعية تبشير المسلمين » لتحويل المحمديين الى المسيحية ٠ وقد ترجم الكتاب الى اللغة الألمانية(٥٩) بناء على رغبة هيئـة تحرير « مجلة التبشير العام » (الألمانية) ٠

وينقسم الكتاب الى اثنى عشر فصلا وهى :

١ ـ مهبط الاسلام ٠
٢ ـ عصر محمد وصفاته ٠
٣ ـ تاريخ القرآن وعقائده ٠
٤ ، ٥ ـ ما أخذه محمد من اليهودية والمسيحية(٦٠) ٠
٦ ـ انتشار الاسلام ونجاحه ٠
٧ ـ خصائص الاسلام وتأثيره ٠
٨ ، ٩ ـ وحدة العهدين القديم والجديد ٠
١٠ـ الكتاب المقدس والقرآن ٠
١١ـ مقارنات عامة ٠
١٢ـ المساعى المضادة من جانب الكنيسة ٠

* * *

---

(٥٩) ظهرت الترجمة الألمانية عام ١٨٧٨ تحت عنوان : الاسلام : تاريخه وخصائصه وعلاقته بالمسيحية .

(٦٠) سبق أن نبهنا فى هوامش أخرى على أن مثل هذه المزاعم مبنية على افتراض باطل وهو أن الاسلام دين بشرى ٠

٢ ـ ادوارد سـل (Sell) :

أما « ادوارد سل » المبشر بجمعية التبشير الكنسى الانجليزى ، فانه يقدم الصورة التى يعيشها الاسلام اليوم لدى أتباعه ، وذلك فى أشكاله العقدية وأشكاله العملية(٦١) . ويتناول فى ستة فصول رئيسية الموضوعات التاليـة :

١ ـ أسس الاسلام .
٢ ـ تفسير القرآن والأحاديث .
٣ ـ الفرق فى الاسلام .
٤ ـ عقيدة الاسلام .
٥ ـ التكاليف العملية فى الاسلام .
٦ ـ أعياد الاسلام ، وصوم الاسلام .

ويسهب « سل » فى تناوله للحركات الروحية الجديده فى الاسلام مثل الحركة « الوهابية » .

* * *

٣ ـ زويمـر (Zwemer) :

هناك دراسـات ممتازة عن الدين المحمدى ، ومشـكلات العالم المحمدى ، من وجهة نظر التبشير المسيحى . نجدها فى كتاب « الاسلام » للمبشر الشهير « س . م . زويمر »(٦٢) الذى كان يعمل مبشرا فى أوساط المحمديين ، ويتضمن الكتاب الموضوعات التاليـة :

١ ـ أصل الاسلام ومصادره .
٢ ـ محمـد النبى .

---

(٦١) صـدر كتابه بعنوان عقيدة الاسـلام (Faith of Islam) فى لندن عام ١٨٨٠ وظهرت طبعته الثانية عام ١٨٩٦ والثالثة عام ١٩٠٧ .

(٦٢) صمويل زويمر (١٨٦٧ ـ ١٩٥٢) : كان رئيس المبشرين فى الشرق الأوسط . وله مؤلفات فى صلة الاسلام بالمسيحية يتضح فيها اتجاهه المبنى على التعصب والتضليل . ومن هذه المؤلفات : الاسلام تحد لعقيـدة ؟ (نيويورك ١٩٠٧ ـ ترجم الى الألمانية عام ١٩٠٩) . ويسوع فى احيـاء الغزالى . وداخل عالم الاسلام .

وله دراسات كثيرة فى مجلة الاسـلام التى كان يرأس تحريرها منها : الاسلام فى العالم . وترجمات القرآن . وأمية النبى . والحديث القـدسى . وتنوع الاسلام فى الهنـد .

٣ ـ انتشار الاسلام ٠

٤ـ٦ ـ العقيدة والعبادات والأخلاق فى الاسلام ٠

٧ ـ التفرق والتمزق والاصلاح ٠

٨ ـ الوضع الراهن للعالم المحمدى ٠

٩ ـ التبشير فى أوساط المحمديين ٠

١٠ ـ مناهج ونتائج ٠

١١ ـ المشكلة والخطر ٠

١٢ ـ استفزاز العقيدة ٠

وبجانب زويمر يعد كتاب (جاردنر Gairdner) (لوم الاسلام The Reproach of Islam) أفضل مدخل الى الاسلام ومشكلة التبشير ٠

* * *

اتجاهات اسلامية هندية حديثة

١ ـ سيد أمير على :

هناك اتجاه عقلى وعصرى فى أوساط المذهب المحمدى فى الهند يستحق اهتماما خاصا ، ويقود هذا الاتجاه سيد « أمير على »(٦٣) وهو من كبار الموظفين الهنود ، ومن قضاة المحكمة العليا فى البنغال ، وقد اغترف من علومنا الغربية ، ويعد من أبرز أتباع الاسلام وأكثرهم تنورا .

وقد اهتم بالدفاع عن الاسلام ضد الأحكام المسبقة للمسيحيين ، وأهتم بعرض الروح الفلسفية والأخلاقية للاسلام ، على أمل أن يعمل المسلمون فى الهند على اقامة بعثهم الروحى والأخلاقى .

ويعقد المؤلف مقارنة بين الاسلام والمسيحية ، فيما يتعلق بالتقدم الأخلاقى ، والاجتماعى ، والسياسى ، ويضعهما بجوار بعضهما ، من حيث العقيدة بوصفهما مصدرا للأخلاق السامية ، وبوصفهما هاديين فى الحياة ويتناول تأثيرهما الانسانى والتمدنى .

ويعارض على وجه الخصوص القول بأن الاسلام دين غير متسامح ، وأنه يساعد على العبودية ، وعلى تعدد الزوجات ، وأنه يضع المرأة فى وضع أدنى ، وأنه يقول بجنة حسية خالصة ، وأنه دين التواكلية ، وأنه يؤدى الى التردد السياسى والأخلاقى .

ولكن المؤلف يعترف بأن من الصعب عليه أن يعثر على توافق تصالحى ، بين التعاليم السامية والأخلاقيات للاسلام الأصلى ، وبين الشكلية المتحجرة التى انتهى اليها اليوم .

* * *

---

(٦٣) توفى عام ١٩٢٨ . ومن مؤلفاته بالانجليزية : **حياة محمد وتعاليمه أو روح الاسلام** (لندن ١٨٧٣) — وقد ترجم الى العربية تحت عنوان « **روح الاسلام** » وقام بترجمته **أمين** محمود الشريف وراجعه محمد بدران ونشر ضمن سلسلة الألف كتاب بالقاهرة ١٩٦١ . وأخلاق الاسلام (كلكتا ١٨٩٤) ، والاسلام (لندن ١٩٠٦) ، والاسلام ونقاده .

٢ ـ خـودا بخش (Khuda Baksh) :

ويحذو « خودا بخش »(٦٤) حذو سيد أمير على ، ولكن تصوراته تعنى تقدما من الدفاع العقلى الى المعرفة الدينية التاريخية . والمؤلف مسلم ذو عقلية تقدمية متحررة ، وقد عاش فى انجلترا تسع سنوات ، وتعلم اللغة الألمانية أيضا لدرجة مكنته من دراسة كتاب جولدتسيهر « دراسات محمدية » ودراسة مؤلفات ألمانية أخرى .

وتتناول بحوثه على سبيل المثال الموضوعات التالية : « روح الاسلام » ، « رأى الاسلام فى السيادة أو الحكم » ، « حركة الشعوبية فى الاسلام » . أما الفصول التى تتناول « الأدب الهندوستانى » و « أفكار عن الظروف الراهنة » فهى بصفة خاصة فصول قيمة .

والمؤلف ـ الذى تعمق فى عالم الفكر الغربى ومع ذلك يتمسك بتراثه الذى ولد عليه ـ يعد مراقبا شجاعا للوضع الراهن ، ولسيادة الانجليز فى الهند :

« ان الشرق بالنسبة لى شرق والغرب غرب ، والهند لم يعد يمكن أن تكون انجلترا ، كما لا يمكن أن تصير انجلترا الهند ، وقد قدر لنا أن نتتلمذ على أوروبا ، ولكن ذلك لن يكون بالتضحية بذاتيتنا الشرقية ».

* * *

٣ ـ ليوناردز (Major Leonards) :

وهناك دفاع أوروبى عن الاسلام صدر عن المقدم الانجليزى « ليوناردز »(٦٥) ، غير أنه دفاع ذاتى ، وغير تاريخى بالمرة ، وتتمثل

---

(٦٤) انظر كتاب خودا بخش بالانجليزية : مقالات هندية واسلامية (Essays Indian and Is'amic) لندن ١٩١٢ .

(٦٥) انظر فى ذلك كتابه بعنوان (الاسلام) :

(Arthur Glyn Leonards : Islam' London 1909) .

قدوته العقلية فى كل من « كارليل »(٦٦) وسيد « امير على » . وهكذا يمتزج لديه نموذج أوروبى غير تاريخى اطلاقا لعبقرية دينية أصيلة ، بأفكار العلماء المحدثين الهنود أو المصريين ، الذين تثقفوا ثقافة أوروبية ، والذين يحاولون ـ عن طريق استخدام نتائج البحث الغربى ـ تحديث الاسلام والدفاع عنه .

وهم يضعون الاسلام فى مقابل المسيحية بوصفه الدين الوحيد المتمشى مع الطبيعة والعقل .

* * *

(٦٦) لعله يقصد توماس كارليل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) صاحب كتاب (الأبطال) الذى عقد فيه فصلا رائعا عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقد نقله الى العربية الاستاذ على أدهم .

١ ـ هوتسما (M. Th . Houtsma) :

أما الفصول الخاصة بوصف الاسلام المتضمنة فى الكتب التعليمية لتاريخ الأديان العام ، فانها تستحق تقديرا خاصا ، ويأتى هنا فى المقام الأول ذلك العرض الممتاز للاسلام ، القائم على معرفة تامة بالمصادر من جانب « م . ث . هوتسما »(٦٧) فى الكتاب الذى اخرجه (شانتبى دى لاسوساى Chantepie de La Saussaye) وهو « كتاب تعليمى فى تاريخ الأديان » .

ويعد ما كتبه « هوتسما » من أفضل ما كتب عن هذا الموضوع الى حين ظهور كتاب جولدتسيهر « محاضرات عن الاسلام » .

ويصور « هوتسما » فى البداية الأوضاع الدينية فى بلاد العرب عند ظهور « محمد » ، ثم يصور حياة « محمد » فى فصل مطول ، وفى الفصل الثالث : يتناول أسس تطور الاسلام ، القرآن والحديث ، والفقه .

أما الفصول التالية فتتناول : التشريع الدينى ، النزاع العقائدى ، نسق العقيدة السنى ، التصوف . وقد خصص « هوتسما » فصلا خاصا للشيعة ، فى حين يلقى فى الفصل الختامى نظرة على الأوضاع الراهنة .

ومما له قيمة على وجه الخصوص تلك القوائم بالمراجع الملحقة بكل فصل .

* * *

---

(٦٧) هوتسما (١٨٥١ ـ ١٩٤٣) مستشرق هولندى . اضطلع بمهمة الاشراف على دائرة المعارف الاسلامية (١٩١٣ ـ ١٩٢٤) ، وكان يتمتع بعضوية عدد من المجامع والجمعيات العلمية منها المجمع العلمى العربى بدمشق .. وقد نشر عددا من المخطوطات العربية وترجم بعض النصوص العربية . ومن الكتب التى نشرها : تاريخ اليعقوبى (فى جزئين) ، كما ساعد فى نشر الطبرى (فى خمسة عشر جزءا) .

وله دراسات فى الأدب العربى والتاريخ الاسلامى . ومن بين مؤلفاته : العقيدة الاسلامية والاشعرى .

٢ ـ كونراد فون أوريللى (Conrad Von Orelli) :

اما كتاب « كونراد فون أوريللى » « تاريخ الأديان العام »(٦٨) فيتوحد فيه علم شامل مع تركيز قوى على ما هو جوهرى مع حكم معتدل ، وهو لا يخشى فى أى موضع من كتابه من أن يقيس التصورات التاريخية بمقياسه اللاهوتى الوضعى ، ولكن المرء يرى فى كل موضع ظهور سعيه نحو تقدير عادل .

وهو يتناول الاسلام فى خمسة فصول :

١ ـ دين العرب قبل الاسلام .
٢ ـ محمد : حياته وصفاته الشخصية .
٣ ـ القـرآن .
٤ ـ التعاليم والعبادة فى الاسلام .
٥ ـ الانتشار والانقسامات فى الاسلام .

* * *

٣ ـ تيـلى (Tiele) :

وكذلك يقدم « تيلى » فى كتابه « موجز تاريخ الأديان »(٦٩) عرضا ممتازا لدين العرب فى خمسة عشر فصلا :

١ ـ دين العرب القديم .
٢ ـ دين العرب عند ظهور محمد .
٣ ـ اليهودية والمسيحية والحنفاء .
٤ ـ اصطفاء محمد .
٥ ـ الأتباع الأول .
٦ ـ الدين العالمى العربى الجديد .
٧ ـ انتشار الاسلام . وفاة محمد .
٨ ـ محمد كمؤسس للدين .
٩ ـ قواعد الاسلام الخمسة .

---

(٦٨) ظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٩١١ فى بون بألمانيا والطبعة الثالثة عام ١٩٢٢ .

(٦٩) ظهرت الطبعة الرابعة منه بتعديلات شاملة عام ١٩١٢ فى برلين وقام باخراجها ناتان سودربلوم .

١٠ ـ الله والنبى ٠
١١ ـ القـرآن ٠
١٢ ـ الحديث ٠ معيار القانون الدينى ٠
١٣ ـ الشـيعة ٠
١٤ ـ التصوف ٠
١٥ ـ خصائص الاسلام ٠

* * *

٤ ـ فـــورم (Wurm) :

يقدم « باول فورم » فى كتابه « المرجع فى تاريخ الأديان »(٧٠) ٠ عرضا شعبيا للاسلام قصد به أن يكون لدائرة من القراء أكثر اتساعا ، وبصفة خاصـة للمدرسين والمبشرين وأصـدقاء التبشير ، مستخدما فى عرضه مراجع التبشير فى حماس ، وينقسم الكتاب الى أربعة فصول :

١ ـ مكانة الاسلام فى تاريخ الأديان ٠
٢ ـ حياة محمد ٠
٣ ـ القرآن ، التعاليم والعبادة والحياة الدينية فى الاسلام ٠
٤ ـ التطور الدينى فى الاسلام بعد وفاة محمد ٠

* * *

٥ ـ جيريمياس (Jeremias) :

يخصص « الفريد جيريمياس » لعصر ما قبل الاسلام ولدين العرب ما يقرب من نصف ما كتبه عن الاسلام فى كتابه «تاريخ الأديان العام»(٧١) ويتناول بعد ذلك فى فصل مطول حياة محمد وبدايات الاسلام ٠ أما كل ما عدا ذلك فقد تناوله تناولا قاصرا جدا (فكرة المخلص فى الاسـلام الأصلى ، الشيعة : نظريتهم فى الامام ونظريتهم فى الخلاص والمصالحة ، التصوف ، الموت والحياة الآخرة فى الاسـلام الأصلى اليوم ، انتشار الاسـلام) ٠ ويتناول المؤلف التصوف فى تسعة عشر سطرا ٠

* * *

---

(٧٠) ظهرت الطبعة الأولى من الكتاب فى شتوتجارت بألمانيا عام ١٩٠٤ ٠

(٧١) ظهر الكتاب فى ميونيخ بألمانيا عام ١٩١٨ ٠

٦ ـ **فوللرز** (Vollers) :

وكذلك يقدم « كارل فوللرز » نبذة قصيرة جدا عن الاسلام فى كتابه « أديان العالم »(٧٢) أما فضله الرئيسى فانه يتمثل فى أنه كان أول من عقد فى دقة مقارنة بين الأدب الانجيلى والحديث النبوى الاسلامى .

* * *

٧ ـ **بفليديرر** (Pfleiderer) :

وقد تحدث « أوتو بفليديرر »(٧٣) أيضا باختصار عن الاسلام وصلته باليهودية والمسيحية ، ودين ما قبل محمد ، وحياة محمد وتعاليمه ، والسنة والشيعة ، والمعتزلة والأشعرية والتصوف ، وفى الخاتمة قدم بعض اقتباسات من الشعر الصوفى لجلال الدين الرومى .

* * *

٨ ـ **سودربلوم** (Soederblom) :

أما « ناتان سودربلوم » الذى كان له الفضل فى اعادة النظر فى كتاب تيلى « موجز تاريخ الأديان » واكماله ، فانه لم يخصص للاسلام فى كتابه « مدخل الى تاريخ الأديان »(٧٤) الا ثلاثة فصول فقط :

وفى الفصل الأول منها : يلقى نظرة سريعة على حياة « محمد » وتعاليمه ، ويقدم بعض الملاحظات عن القرآن ، أما الفصل الثانى : فانه يصور فيه التقوى الاسلامية (قواعد الاسلام الخمس والتصوف) ، وفى الفصل الثالث : يتحدث عن انتشار الاسلام .

والكتاب لا يقدم للأسف أية قوائم ، أو بيانات عن المراجع .

وقد تحدث المؤلف أيضا عن الاسلام باقتضاب شديد ، فى أربع صفحات فى كتاب سابق له بعنوان « أديان الأرض »(٧٥) .

---

(٧٢) ظهر الكتاب فى **بينا بألمانيا** عام ١٩٠٧ .

(٧٣) فى كتابه (الدين والأديان) برلين ١٩٠٦ .

(٧٤) ظهر الكتاب فى ليبزج عام ١٩٢٠ (فى سلسلة العلم والثقافة المجلد رقم ١٣١) .

(٧٥) ظهر الكتاب فى **توبنجن بألمانيا** عام ١٩٠٥ .

(قارن ك . بث Beth) : ناتان سودربلوم كمؤرخ للأديان فى مجلد : العالم المسيحى ١٩٢٠ عمود ٢١٤ ـ ٢١٨) .

* * *

٩ ـ كليمن (Clemen) :

وفى مقابل ذلك يقدم « كارل كليمن »(٧٦) عرضا للاسلام فى وضعه الراهن أكثر تفصيلا ، فبعد مقدمة قصيرة عن « تاريخ الاسلام وانتشاره » يتناول الموضوع فى ستة فصول :

١ ـ الشريعة الاسلامية : (مدارس الفقه ، أحكام العبادات ، الأحكام القانونية والسياسية) .

٢ ـ علم العقيدة الاسلامى : (النظريات فى موضوعات : الله ، والملائكة ، والأنبياء ، وأمور الآخرة والقضاء والقدر ، على أساس من الكتب التعليمية الدينية المعروفة) .

٣ ـ التصوف الاسلامى : (علم العقيدة والتصوف ، الغزالى ، الدراويش) .

٤ ـ الاسلام الشعبى : (تقديس الأولياء ، الكهانة ، السحر) .

٥ ـ الفرق الاسلامية : (الخوارج ، والشيعة وانقساماتهما ، البابية ، والبهائية ، الأحمدية ، الوهابية) .

٦ ـ تحديث الاسلام : (الجهود العقلانية فى الهند ، وسوريا ، وتركيا) .

وتقدم الخاتمة قائمة تفصيلية بالمراجع .

(راجع للمؤلف أيضا فيما يتعلق بتصور المحمديين عن الحياة بعد الموت كتاب « الحياة بعد الموت فى عقائد الانسانية »)(٧٧) .

* * *

١٠ ـ بوسيه (Bousset) :

لقد جمع « فلهلم بوسيه »(٧٨) الاسلام واليهودية والزرادشتية تحت عنوان « ديانات التشريع » وحاول أن يبين الصور المميزة والخصائص التى تجمع الديانات على هذه الدرجة (أى درجة ديانات التشريع) .

* * *

---

(٧٦) فى كتابه : أديان الحضارة غير المسيحية فى وضعها الراهن . ليبتزج وبرلين عام ١٩٢١ .

(٧٧) ظهر الكتاب فى ليبتزج وبرلين عام ١٩٢٠ .

(٧٨) راجع كتابه : ماهية الدين توبنجن (ألمانيا) ١٩٢٠ .

١١ ـ ابرهاردت (Eberhardt) :

يتناول « باول ابرهاردت »(٧٩) الاسلام متناولا مفعما بالحب بصفة خاصة ، فهو فى حديثه عن « محمد » يتحدث عن « العظمة والروعة اللتين لا يمكن انكارهما » ويشير الى أن محمدا لم يتنكر لانسانيته قط ، حتى وهو فى قمة انتصارته ، ولم يتعاظم أبدا ويعتبر نفسه نوعا خاصا أكثر سموا ، وتظهر للمؤلف أيضا أخلاق الاسلام « اعظم ما تكون فى طهرها وعمقها » .

وفى النهاية يخصص المؤلف للتصوف الاسلامى ـ والتصوف الفارسى على وجه الخصوص ـ بعض التفصيلات الحماسية .

* * *

١٢ ـ كابشتاين (Kappstein) :

يقدم « تيودور كابشتاين » (٨٠) الى حد ما عرضا سطحيا للاسلام وفى البداية يضع أمامنا صورتين : الدراويش البكائين فى القاهرة ، وقبة الصخرة فى القدس مع الحجر المقدس ، وفى الخاتمة يصور مراسم دفن على الطريقة المحمدية ، ويعرض الأقوال عن حكمة صحراء العرب ، وفى أثناء ذلك يتحدث باختصار عن حياة « محمد » وتعاليمه ، وعن الفرق الاسلامية والتكاليف الدينية .

* * *

١٣ ـ فيبج (Fiebig) :

يجمع « باول فيبج »(٨١) فى صورة (كراسة املاء Diktatheft) ما هو ضرورى لمعرفة الاسلام فى فصول ثلاثة :

١ ـ الدين العربى قبل محمد .

٢ ـ محمد .

٣ ـ من محمد الى العصر الحاضر .

ويذكر فى الخاتمة أهم المراجع عن الاسلام .

* * *

---

(٧٩) انظر كتابه (علم الأديان) :
(Religionskunde . Gotha 1920)

(٨٠) راجع كتابه: أديان البشرية ـــ برلين ١٩٢٠ .

(٨١) يرجع الى كتابه : تاريخ الدين وفلسفته لطلاب وطالبات المعاهد العليا . توبنجن (ألمانيا) ١٩٢١ .

١٤ ـ بيث (Beth) :

يقدم « كارل بيث » اشارات قيمة لتفهم لاسلام ومقارنته بالديانات الاخرى فى كتابه « مدخل الى تاريخ الأديان المقارن »(٨٢) .

* * *

١٥ ـ فتـه (J . Witte) :

اما « فته » فانه يأتى بمقدمة(٨٣) تتضمن « الدين والأديان » ، « الشىء القيم فى الأديان غير المسيحية » ، « صراع الأديان والقضية الرئيسية للدين » ، وبعد ذلك يجيب عن السـؤال التالى : ما موقف الأديان العالمية ـ غير المسيحية ـ من الأعداء الثلاثة الكبار للانسانية وهى : الشر ، والألم ، والموت ؟ .

ثم يصور المجالات الرئيسية الثلاثة التى تتضمن العنصر الايجابى ، الذى تريد الديانات غير المسيحية ان تقدمه للانسان ، وهذه المجالات هى : مسالة الألوهية ، والهدف ، والطريق الى الهدف .

وفى القسم الثانى من كتابه يتحدث المؤلف عن العمل التبشيرى الذى تقوم به الأديان العالمية غير المسيحية والذى يقوم به الاسلام بصفة خاصة .

* * *

١٦ ـ شوميروس (H.W. Schomerus) :

يرسـم « شوميروس »(٨٤) فى خطوط عريضة مهمة المسـيحية بالنسبة للشعوب غير المسيحية ، وضرورة تهيئة العمل التبشيرى للحياة الروحية للشعوب غير المسيحية ، وفى النصف الثانى من كتابه يستنتج من ذلك ضرورة حوار المسيحية مع الحياة الروحية للشعوب غير المسيحية ، ويذكر متطلبات هـذا الحوار .

* * *

---

(٨٢) صدر الكتاب فى كل من ليبتزج وبرلين عام ١٩٢٠ .

(٨٣) انظر كتابه : صراع الأديان العالمية حول النفس البشرية . برلين ١٩٢١ .

(٨٤) فى كتابه : الحياة الروحية للشعوب غير المسيحية والدين المسيحى . ليبتزج ١٩١٤ .

١٧ ـ مـــور (C. F Moore) :

من بين الكتب الانجليزية فى التاريخ العـام للأديان ـ والتى لم يتيسر لى الاطلاع على البعض منها ـ نبرز هنا كتاب أديان العالم الكبرى ، (Great Religions of the World) وكتاب تاريخ الأديان (٨٥) من تأليف (س ٠ ف ٠ مور) ٠

* * *

١٨ ـ رايناخ (Reinach) :

أما تصوير « سالمون رايناخ » (٨٦) للاسلام فى اثنتى عشرة صفحة من القطع الصغير ، فانه حقا تصوير غير كاف ، كما أن قوائم المراجع الملحقة قاصرة الى حد بعيد ٠

* * *

١٩ ـ هوداس (O. Houdas) :

وكـذلك نجـد أن كتـاب « هـوداس » (المذهـب الاســلامى L'Islamisme) (٨٧) قاصر أيضا ، وبدون النقد الضرورى ، وبدون اطلاع على البحوث الألمـانية فى العقـود الأخيرة ، وقد أسىء تمـاما فهم دور النبى ٠

* * *

٢٠ ـ بريكو (J . Bricout) ، أوبى (Huby) :

وقد تناول أيضا كل من « بريكو » و « جوزيف أوبى » الاسـلام تناولا سيئا فى كتاب كل منهما عن تاريخ الأديان العام (٨٨) ٠

* * *

---

(٨٥) صدر فى نيويورك عام ١٩١٤ وما بعدها ٠

(٨٦) فى كتابه بالفرنسية بعنوان : أورفيوس ٠ التاريخ العام للدين ـ باريس ١٩٠٩ ٠

(٨٧) صدر فى باريس عام ١٩٠٤

(٨٨) صدر كتاب بريكو فى باريس عام ١٩١١ بعنوان : حول تاريـخ الأديان ٠ وصدر كتاب أوبى أيضا فى باريس عام ١٩١٢ بعنوان : المسـيح الموجز فى تاريخ الأديان ٠

٢١ـ بـزى (J . Pizzi) :

واول عرض للاسلام أكثر تفصيلا بعض الشىء فى اللغة الايطالية ، قام به «بزى » فى كتابه (المذهب الاسلامى **(L'Islamismo**) (٨٩) .

ويقدم هذا الكتاب بصفة اساسية نظرة عامة عن الدين الاسـلامى ، مستندا فى ذلك الى مراجع لشخصيات معروفة لها وزنها . ولكنه بجانب ذلك يأخذ فى الاعتبار أيضا حضارة الاسلام وسياسته ويفتقد المرء فى هـذا الكتاب تاريخ تطور الاسلام .

* * *

(٨٩) صدر هذا الكتاب فى ميلانو عام ١٩٠٣ .

نصوص اسلامية مترجمة

(أ) وقد أتاحت لنا بعض الكتب النصية لتاريخ الأديان ، والتى ظهرت فى ترجمات جيدة ـ فرصة التعرف على مصادر الدين الاسلامى ، فقد ظهر فى عام ١٩٠٨ ـ فى وقت واحد تقريبا ـ كتابان من الكتب النصية فى تاريخ الأديان ، لكل من (ناتان سودربلوم Soederblom) و (الفريد برنوليت Bertholet) غير أن كتاب أولهما لم يظهر ـ للأسف ـ الا باللغة السويدية(٩٠) . وقد تناول (ك . ف . تسترستين Zettersteen) الاسلام فى كتاب « سودربلوم » ، وتناوله (أ . ميز Mez) فى كتاب « برتوليت »(٩١) ولكن الأخير لم يقدم الا مقتطفات من القرآن .

(ب) أما « الكتاب النصى لتاريخ الأديان »(٩٢) لمؤلفه (ادوارد ليمان Lehmann) فانه يقدم عدا ذلك أحكاما مختلفة ، تتعلق بالصلاة ، وشعائر صلاة الجمعة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، والجهاد ، والأكل ، والشرب ، والزواج ، والعقائد للسنوسى (المتوفى عام ١٤٩٠ م) التى تستخدم كثيرا جدا فى العالم المحمدى ، بوصفها كتابا تعليميا فى قواعد الدين .

وقد أضيفت فى الطبعة الثانية لكتاب « ليمان » مقتطفات من صحيح البخارى ، ومن قصيدة البردة فى مدح « محمد » كما أضيفت أيضا على وجه الخصوص نصوص كثيرة فى التصوف للحلاج ، والغزالى ، ومن التصوف الفارسى ، وأضيفت أيضا خمس قصائد لـ (زيا جوك ـ ألب Zia Goek - Alp) فى تصوير الاسلام الحديث فى الوقت الراهن .

(جـ) وهناك كتاب مفصل يقدم مصادر لتاريخ الدين الاسلامى وهو

---

(٩٠) ظهر الكتاب فى ستوكهولم عام ١٩٠٨ .

(٩١) ظهر كتاب برتوليت فى توبنجن بألمانيا عام ١٩٠٨ بعنوان : كتاب للمطالعة فى تاريخ الأديان .

(٩٢) ظهر الكتاب فى طبعته الأولى فى ليبتزج عام ١٩١٢ ، وظهرت الطبعة الثانية عام ١٩٢٢ .

كتاب « الدين الاسلامى » من تأليف (جوزيف هل Hell)(٩٣) فى سلسلة « الأصوات الدينية للشعوب » . فبعد مقدمة قصيرة عن تطور علم العقيدة الاسلامى ، حتى عصر الغزالى ، يقدم ترجمة للنصوص التالية :

١ ـ مختارات من القرآن مرتبة حسب وجهة نظر موضوعية .
٢ ـ الفقه الأكبر لأبى حنيفة .
٣ ـ العقيدة للطحاوى (المتوفى عام ٩٣٣م) .
٤ ـ مختارات من كتاب اللمع للاشعرى (المتوفى ٩٣٥ م) .
٥ ـ أسرار الوحى للسمرقندى (توفى فى نهاية القرن الرابع الهجرى) .
٦ ـ بداية الهداية للغزالى (المتوفى ١١١١ م) .

وهناك مجلد ثان ، يزمع أن يشمل التصوف من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر الميلادى .

(د) وهناك كتيب جذاب جدا عن الدين الاسلامى(٩٤) للسفير التركى فى برلين محمود مختار باشا ، وهو يريد أن يواجه به سوء الفهم للاسلام ، لأنه من النادر أن يجد المرء كتبا عن الاسلام باللغة الألمانية ، الفت من وجهة النظر الاسلامية ، وغاية الكتاب هى سد هذا الفراغ .

ويتناول الكتاب ـ معتمدا على القرآن ، وعلى مجموع الأحاديث النبوية الذى أصدره « عارف بك » منذ وقت قصير ، ووجد لدى الأتراك اقبالا عظيما فى اسطنبول ـ يتناول الموضوعات التالية :

الله فى الاسلام ، بعثة النبى ، تسامح الاسلام ، القرآن ، المسيح والأنبياء ، الخلق ، البعث ، الجنة والنار ، الصلاة ، الحج ، الدراويش ، العناية الالهية ، الزواج والنساء ، الأخلاق الاسلامية . الاسلام بوصفه عنصر الحضارة .

---

(٩٣) جوزيف هل (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠) مستشرق ألمانى ، كان يعمل أستاذا بجامعة ارلانجن بألمانيا ، وكان يهتم بصفة خاصة بالشعر العربى . والعنوان الكامل لكتابه عن الاسلام هو : الدين الاسلامى : ترجمة من المؤلفات الأساسية ، وقدم له جوزيف هل ـ بينا ١٩١٥ ـ الجزء الأول : من محمد الى الغزالى .

(٩٤) صدر الكتاب فى فايمار بألمانيا عام ١٩١٥ بعنوان عالم الاسلام فى ضوء القرآن والحديث .

وهذا الجمع لاقوال القرآن والحديث عمل جدير بالترحيب ، لانه يعرض ما يراه المسلمون المثقفون المعاصرون معيارا للعقيدة والسلوك .

(هـ) ويقدم (فينل Weinel) المختارات النصية التالية لتصوير الدين الاسلامى .

١ ـ من السورة الثانية للقرآن .

٢ ـ من السورة السادسة والخمسين .

٣ ـ من كتاب بداية الهداية للغزالى (حوالى ١١٠٠ م) .

(و) وتزمع أيضا سلسلة « مصادر تاريخ الأديان » أن تأتى بأصوات دينية من الاسلام ، وتشتمل الخطة على ما يأتى :

ـ القرآن من ترجمة (ف . شولتهس Schulthess)(٩٥) .

ـ مختارات من كتاب « الاحياء » للغزالى . من ترجمة (هانز باور Bauer) .

ـ المواقف للايجى ، من ترجمة (ماكس هورتن Horten)(٩٦) .

ـ الانسان الكامل . من ترجمة هورتن أيضا

(ز) وأخيرا .. فان السلسلة التى قام بانشائها واصدارها (جوستاف بفانموللر Pfannmueller) عن « كلاسيكيى الأديان » ستخصص أيضا كتابا عن « شخصية محمد » وتعاليمه ، وكتابا عن « الغزالى » .

* * *

---

(٩٥) مستشرق المانى توفى عام ١٩٢٢ وكان جل اهتمامه موجها الى الأدب العربى .

(٩٦) ماكس هورتن (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥) من مشاهير المستشرقين الألمان . اهتم بصفة خاصة بالفلسفة الاسلامية وتاريخها .

ومن مؤلفاته : ما وراء الطبيعة لابن رشد ، ورد ابن رشد على الغزالى ، وفلسفة الاسلام وعلاقتها بالأفكار الفلسفية فى المشرق العربى ، وابن سينا ، والدين والفلسفة فى الاسلام ، ومحمد عبده والاصلاح .

وله دراسات أخرى فى التصوف الاسلامى والحلاج وفلسفة ابن سينا والفارابى .